فاكهة بشرية

مجموعة قصصية

تأليف

هدى توفيق

الطبعة الثانية

فَاكِهَةٌ بَشَرِيَّةٌ

مجموعةٌ قصصيَّةٌ

طبعة ثانية، مزيدة ومنقَّحة

تأليف

هدى توفيق

الطبعة الثانية

الكتاب : فَاكِهَةٌ بَشَرِيَّةٌ

تأليف : هدى توفيق

التصنيف الكتاب : مجموعة قصصية

المقاس: ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع: ١١٨٠١ / ٢٠٢٣م

الترقيم الدولى: 978-977-8958-68-3

تاريخ رقم الإيداع : ١٣ / ٦ / ٢٠٢٣

مراجعة وتدقيق لغوي : رضا يونس

التصميم والإخراج: حسن عبد الحليم

تصميم الغلاف : أيمن عبد الباري

الشواهين للنشر والتوزيع

العنوان: ٤٥٣ شارع الهرم - الجيزة - جمهورية مصر العربية

ashawahin7@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة لدار الشواهين

إهـــداء

إلى أمّـِي . . . دائماً

هدى توفيق

الحقيقة الوحيدة في الحياة هي الأحاسيس.

أمّا الحقيقة الوحيدة في الفنّ: وعي هذه الأحاسيس.

فرناندو بيسوا

لست ذا شان...

يِوْمِيّاتُ تَبَاريحَ أنْدَلُسِيَّة

سأحكي الآن عن بلوك أندلسيّة، فهي عبارة عن تقويم هجريّ- ميلاديّ- مصريّ عام ١٤٣٨-٢٠١٧م. إنّه بلوك أزرق بإطارٍ ذهبيٍّ بديع، وأوراقه كبيرةٌ بالخطِّ الأزرق الكبير، يفسِّر التّقويم الهجريّ والميلاديّ باللّغة العربيّة وباللّغة الإنجليزيّة، والتقويم المصريّ ق.م بمواقيت الصّلاة لخمس محافظاتٍ. ما حكاية هذا البلوك؟ إنّها حكايةٌ مؤثّرةٌ للغاية أيُّها القرّاءُ الأعزّاء.

في عام ٢٠١٨م، عدتُ فجأةً إلى مقرِّ عملي الأساسيّ في الشّؤون الإداريّة، بعد نقلٍ تعسُّفيٍّ من مقرِّ عملي الجديد، كان قريبًا من سكني.

وقد انتدبتُ إليه بعد إصرارٍ لقربه من منزلي. لكن ساءتِ الأحوال فجأةً، وعدت إلى موطني الأول، وبالطّبع

قابلتُ رفيقة عملي القديمة التي عاشرتها لأكثر من عشر سنوات، وبكيتُ وحكيتُ لها كلَّ ما حدث لي مع الزّملاء الجدد في ذاك المكان الوظيفيِّ، وأنني ربّما أخطأتُ بحسن نيّة، والجميع باعني وتخلّى عنّي بعد تحقيقٍ إداريٍّ ألزمني الحضورَ والانصرافَ في الإدارة المركزيّة لحوالي ستّة عشر يومًا، حتى عدتُ إليكم مرّةً أخرى بعد براءة ذمَّتي وعودتي رسميًا إلى العمل، فاخترتُ أن أعوَد إلى المقرِّ القديم، لكن بعد أن تخلَّصتُ من الآلام والعذاب النفسي؛ لإيماني بحقِّي، وأنّي لم أقترف خطأً يستوجب كلَّ هذه التّحقيقات والأسر الإداري. أضحك بشدّةٍ وأنا أسترسل في الحكي عن تفاصيلِ أرهقتني؛ مثل أنني دون وعيٍ ألقيتُ بجوربٍ أحمرَ كان هديّةً منك يا صديقتي في أحد أعياد ميلادي، وقد نقعته في جردل المياه (بالرابسو) مع ملابس من قطعٍ داخليّةٍ وغسلتهم، ثمّ ألقيتُ المياه في بوق الحمّام دون أن ألمحَه، فتضايقتُ بشدّةٍ لأنّه منك ولأنّه لوني المفضّل، فضحكتْ هي أيضًا بشدّةٍ، وقالت: وهذا بالضّبط مع حدث معك في عملك، أخذتِ الأمور بحمقٍ وغباءٍ، ولم تكوني حريصةً،

وربتتْ على ظهري بحنانٍ وقالت بحكمة:

- لا بدّ أن تكوني حريصة جدًّا جدًّا. ربنا يكفينا شر الغفلة، والحسودين، والحقودين.....

مع بداية العام الجديد انقلب عالمي للجانب الآخر الذي أتى معه بامتيازاتٍ تصحبها خساراتٌ.. إنّني ترقّيتُ وسأعود لمكانٍ أفضلَ بوضعٍ أفضلَ ومميّزاتٍ أكثرَ، ودون سببٍ أخبرتني صديقتي، بعد حزنها الشّديد على الفراق مرّةً أخرى أنّها قرّرت أن تسوِّيَ معاشها وتترك الخدمة الوظيفيّة نهائيًا، وستقوم بممارسة هوايتها المفضّلة في التّطريز والخياطة على ماكينة أمّها القديمة (سنجر)، وواحدة جديدة حديثة. كانت تحيك عليها ملابس أولادها والجيران والمعارف، وستوسِّع المشروع بتفريغ حجرةٍ كاملةٍ لحلم حياتها الذي تطمح فيه منذ أن كانت شابة، وتأخّر بسبب العمل الوظيفيّ ورعاية الزّوج والأولاد، خاصّةً بعد زواج اثنين منهما، والحجرة أصبحت بالفعل فارغةً من وجودهما. وفجأةً ترقرقتِ الدّموع في عينيها

الجاحظتين خلف النّظّارة الطّبيّة، وانهمرت الحقائق كالمياه السّاخنة داخل وعاءٍ يقدح بالشّرر، وهي تسترسل أنّ المكان سيصبح شبه خالٍ بعد خروج زميلة عمرها أبله سوسو على المعاش، وبالمناسبة هذا اسمها الحقيقيّ في شهادة الميلاد.. والذي كثيرًا ما جلب المزاح لشخصها أمام آخرين يسخرون منه، بأنّ امرأةً بهذا الحجم الضّخم والعمر الكبير، واسمها سوسو... حتى نفرت من اسمها، بل ورفضت أن تخبر الغرباء به، وقالت: «اسمي أستاذة سوسن» وها قد مرَّ العمر، وهي تخجل من اسمها، وخرجت على المعاش. وفى حفل الخروج النهائيّ صنعوا لها تورتةً باسم (تحيا سوسو) بارزةً باللّون الأخضر وسط التّورتة الكريمة بحبّات الكريز، وشرائح الموز والمشمشيّة، خالية من الشيكولاتة لأنّها لا تروق لها. بينما أستاذة تهاني ستخرج الشّهر القادم، وأنا سأنتقل لمكانٍ آخر بعد ترقيتي الوظيفيّة، ولن يبقى في الغرفة إلّا حديثي الوجود من اثنتين في منتصف الثّلاثينيّات أو أكثر بعض الشيء. انهمرت دموعها أكثر، وقالت:

- فين هلاقي الصحبه الحلوه دي... بعد عشرة كلِّ هذه السنين.

تحاضنا احتضانًا قويًّا، في صمت الدّموع السّاخنة، ثمّ ضحكت أبلة تهاني قائلةً بمرحٍ:

- لأ لأ.. كفايه دراما.. أرجوكم كفايه.

ثم اتّجهت إلى درج مكتبها وأهدتني تلك البلوك الأندلسيّة ذات التّقويم البديع والأوراق الكبيرة النّاصعة البياض بخطوطٍ من اللّون الأزرق الغامق، ينيره الإطار الذّهبيُّ اللّامع والتي كانت تحتفظ به لكتابة أيّة ملاحظاتٍ خاصّةٍ بالعمل الوظيفيّ الرّوتينيّ، أخذته وقبّلتها على جبينها، واحتفظت بالهديّة، حتى قرّرت اليوم أن تكون تباريح بلوك أندلسيّة عن حكاياتٍ للحبِّ والعاصفة والجريمة.

اُكْتُبْ أُتُوبِيس

الطّفلة جنّات تعاني من اضطّراباتٍ نفسيّةٍ شديدةٍ، داخل الفصل تثير الشّغب مع الصّياح والعراك طوال الوقت مع زميلاتها في الفصل، وخارج الصّف على أتفه الأسباب، أو من غير أسباب، حتى تفاقمت حالتها العصبيّة بأن تخانقت مع إحدى مثيلاتها إلى حدّ أنّها كادت أن تخنقها فعليًّا بعد أن سدّدت لها عدد ضرباتٍ على وجهها حتى نزقت الطّفلة الأخرى من فمها و أنفها، ممّا ألزم إدارة المدرسة والأخصائيّة النّفسيّة والاجتماعيّة أن يتواصلوا مع المسئول عليها والتي كانت فقطِ الجدّة دون والديها، وتمّ فصل مدرسي للطّالبة المشاغبة، وأمروها بعدم إحضارها إلى المدرسة لحين بحث حالتها الاجتماعيّة والنّفسيّة. ثم فجأةً بعد عدّة شهورٍ جاءت الجدّة تخطو بخطواتٍ بطيئةٍ،

تكاد تزحف بقدمها، وهي ترتدى عباءة سوداء ووشاحٍ أسودَ تحته طاقيةٌ سوداء ونظّارةٌ عريضةٌ سميكةُ العدسات حجبت وجهها، وقد أخذت الطّفلة، ولم تأتِ مرّةً أخرى إلى المدرسة بتاتًا؛ لتطلب ملفّها من أجل إيداعها في مؤسّسة أيتام في منطقة (إمبابه). رفضتِ المسئولة إعطاءها الملفّ معلّلةً الأمر قانونيًّا وشرطيّـًا. لابَّد أن يتسلّمه وليُّ الأمر بإمضاءٍ تحت بطاقة هويّته وتكون ساريةً أيضًا؛ فجلستِ الجدّة بإنهاكٍ من السير، ومشقّة السّعي لإيداع حفيدتها في المؤسّسة بعد رحلةٍ شاقةٍ في دهاليز الدّوائر الحكوميّة، وبدأت تحكى وتشكو بحزنٍ وحسرةٍ: أنّ ابنها حرامي و(مسجل خطر) عند الحكومة، ولا تعلم عنه شيئًا، فهو هاربٌ من طفلته ولا يحبُّها، ولا يريد أن يراها. يعيش عند أخواله في (السّيّدة عائشة) لأنّه يشكُّ في نسب البنت له أصلًا، لأنّ أمّها تزوّجت من آخر زواجًا عرفيًّا، وهي على ذمّته بعد أن هجرته، وهربت من غير طلاقٍ، وهربت أيضًا مرّةً أخرى من ذاك الرّجل إلى حيث لا يعرف، وهي الآن في السّجن بعد أن رفع الأوّل، أي ابنها دعوة زواجٍ من آخر دون

طلاق، ودعوة للطّعن في نسب الطّفلة جنّات العدوانيّة، وقد أنجبتِ الأم من الآخر طفلين، ولم يتمّ تسجيلهما بعد، ثمّ بصوتٍ مبحوحٍ كمن خنقته أنفاسه ومنعته القدرة على إتمام الحديث، توقّفت وبكت تنوح بصوتٍ منخفضٍ قائلةً:

- منذ سنوات وأنا أربّي له البنت، ولا يسأل عنّي أو عنّها ولا يعطيني شيئًا.

انسال شريط الذّكريات السّوداء، تدهس روحها المحزونة، وحياتها البائسة التي تعيشها دون ذنبٍ لها غير إنجاب هذا الابن العاق. طلبت كوب ماء لتشرب الدّواء، ثمّ أخرجت كيسًا مليئًا بالشّرائط الدّوائيّة. أثارت تعاطف الجالسات من الموظّفات، فأعطينها الماء، ثم صنعن لها كوب شاي بخمس ملاعق سكّر. هكذا طلبت رغم أنّها تعاني من مرض السّكّري، وتقول وهي تكركر بضحكاتٍ منخفضةٍ باهتةٍ:

- ولو عندي إيه لا أشرب الشاي إلا بخمس ملاعق.

لكن تعفّفت عن الطّعام لأنّها لا تأخذ الحبّات الثّلاث للأنيميا والسّكّر والضّغط إلا عندما تفطر، وقد أفطرت ونسيت أن تأخذهم. استردّت أنفاسها، وأكملت بتودّدٍ ورحابةِ صدرٍ، وقد شدّتِ انتباه كلِّ الجالسات الثّلاث من الموظّفات، وبدأن الإنصات كأنّهن في مشهدٍ سينمائيٍّ، وبابتهاجٍ مفاجئٍ أخرجت من نفس كيس الأدوية صورةً للطّفلة التي في عمر التّاسعة تقريبًا، وتناوبن رؤيتها، وهنّ يبتسمن ويثنين على جمالها وبراءتها الطّفوليّة، وتتنهّد الجدّة تحكي بخوفٍ ووجلٍ:

- في إحدى الأيّام ظللت أبحث عنها طوال النّهار إلى أن وجدتها في آخر مجاورةٍ من شقّتي. تلعب مع أولادٍ وبناتٍ أكبر منها في السّنِّ، ثم بعد يومين وكنت قد حبستها حتّى لا تخرج من غير إذني، ولا أقوى على المشي، جاء ولدٌ تقريبًا في الصّفِّ السّادس وسأل عنها، ثمّ لاحظتُ أنّها تهرش أسفل بطنها كلَّ حين، وأسألها ما بك يا جنه؟!

تقول وهي تشير إلى أسفلها بضيق:

- يحرقني موت يا جدتي.

ارتعبت، وبعد نصيحة ابني الآخر، قرّرنا أن نضعها في مؤسّسة الأيتام، وذهبت مع ابني لتخليص الأوراق، وأهمّها فحص (كورونا) للطّفلة، وبعد عمل إجراءاتٍ حكوميّةٍ لأكثر من ثلاثة أشهر، كان آخرهم أخذ الملفَّ من المدرسة. قالت إحدى الموظفات: - لكن لا يصلح إلا بحضور الأب.

لم تردّ الجدّة وبدأت تبكي مرّةً أخرى.

قالت أخرى: معك تليفون مديرة المؤسّسة يا حاجه؟

قالت الجدّة بلهفةٍ وقد أخرجت تليفون نوكيا صغير للغاية من الطّراز القديم:

- أيوه يا ستي مع ابني، وناولتها التليفون.

قالت:

- ما اسمه؟

قالت الجدّة بهدوء:

- أتوبيس.

ضحكن جميعًا ثم قالت إحداهنّ:

- اسم ابنك يا حاجه أتوبيس.

قالت بتأوّهٍ:

- أيوه يا بنتي كنت في الأتوبيس، واتصل بي حتى أسجل الرقم، وطلبت ممن كان يجلس بجانبي أن يسجله وقلت له سريعـًا:
- اكتب أتوبيس يا حبيبي.

حُلْمٌ فِرْعَوْنِيٌّ

من حوالي سبع سنوات في عام ٢٠٠٧ م، دفع عمّ سليمان الصّرّاف، والذي كان يعمل في مديريّة الكهرباء في بندر مركز مدينة بني سويف الرئيسيّ. مكافأة المعاش والّتي تقدّر بمائة وعشرين ألف جنيه مع تحويشة العمر، لشخصٍ اسمه المهندس مراد حسين، كان يعمل في الكويت أيّام حكاية أحداث غزو العراق على الكويت لاحتلالها عام ١٩٩١م، وكان عمله مع الأمريكان، وعرف معلومات كثيرة عن تكنولوجيا واتّصالات أجهزة المخابرات، والاستكشاف العالية التّقنية والفنّيّة والكفاءة، حتّى عاد إلى مصر بعد أن شبع وملَّ من الأمريكان والحروب والتّجسّس والتّلصّص التّكنولوجي حتى بعد الحرب، وعودة أيّام السّلم، فلا سلام أبدًا في هذه المهنة، هي بين حروبٍ ساخنةٍ أو باردةٍ، لكن

أجواءها مستمرّةٌ ومستفزّةٌ، وتدور كالرّحايا على الدّوام في ساقيةٍ لا تتوقّف أبدًا. وفي ذات يومٍ أثناء تجواله بالسّيّارة في منطقة الشّرق الجديدة بعد بناء الكوبري الجديد الذي يصل محافظة بني سويف بالمدينة الجديدة. اكتشفت مقبرةً في الجبل في شرق النّيل، في منطقة تتبع عرب العلالمة، يُقال إنّها مقبرةٌ للأسرة الثّالثة للمصريين القدماء- مقبرةٌ كاملةٌ لملكٍ وملكةٍ وأولادهما الثّلاثة في (المنطقة الجبلية) منَ الشّرق، والجبل على ارتفاع ٣٠ متر تقريبًا، وفى وجه هذا الجبل محفور نصف وجه الملك، ويشير بيديه إلى (هرم ميدوم)، لكن أين المقبرة بالضّبط، لا يُعرف بعد وجودها الحقيقيّ، لكن يبدو أنّها في هذا المكان وذلك من إشارات تدلُّ على ذلك، أثبتها التّحري والبحث وراء الكنوز. كان يشترك مع عمّ سليمان كما يدّعي حوالي خمس وعشرون شخصًا من لواءات جيشٍ ورجال أعمالٍ، ومنهم رجال مباحث الآثار، حتى لا يخبروا الشرطة ، ويسهّلوا لهم عملية إدخال آلات الحفر والتنقيب، وخاصّةً نزع المياه، حتى يتمّ الحفر، وعندما تمّ عرض الموضوع على الخبراء من خلال

الصُّور والتي شاهدوها في الجزء الذي تمّ الحفر فيه أكدُّوا وجود هذه المقبرة الكاملة، وهؤلاء الخبراء أتوا عن طريق رجل الأعمال المشهور من بندر بني سويف، الذى كان يعيش في بريطانيا لأكثر من عشرين عامًا، وعاد إلى مسقط رأسه ـ وقد قام بتحويل ٦٠٠ مائة مليون دولار أمريكي، لكن تمَّ الحجز على أمواله، ويحاول أن يجد وساطةً لفكِّ الحجز بالتبرُّع بـ ٢٥٪ من ماله، في مقابل أن يضعوا في رصيده دولارًا واحدًا، ويحوِّل باقي أمواله من إنجلترا، وهو الآن يحاول أن يستعين بقسٍّ مسيحيٍّ وخبراءٍ من المافيا عن طريق رجلٍ آخر صديقه، والذى يسكن في المنيا في عزبته التي تحوي قصرًا شاهقًا وسط أشجار اللّيمون والبرتقال ومختلف المزروعات الطّازجة التي تشرح النّفوس، وتملأ الرّوح بالطّمأنينة والنّقاء، وتلك الرّاحة أنّك وسط عالمٍ ساكنٍ باخضراره وهدوئه في تلك الحياة المنهكة، دون أيّة اشتغالات لهؤلاء البشر المزعجين، لم يكن له في الحياة إلّا أخٌ وحيدٌ، وأوصى بعد موته بإعطاء كلِّ الأموال له، وإذا مات هذا المهندس ضاعت عليهم

كلُّ الأموال، وقد كان هو حلقة الوصل الأولى والأساسيّة لكلِّ مجريات الأمور، وترتيبها لتدور في دائرةٍ مغلقةٍ عليه هو فقط. ويقول هذا الوسيط المصريُّ بين الحياة والموت، إنّ تلك المقبرة بها أسرةٌ كاملةٌ، وقد هرب الملك والملكة بأولادهم لأسبابٍ لا نعرفها، ولا نريد أن نعرفها، وبنوا هذه المقبرة، وهى مقبرةٌ مليئةٌ بالأنفاق والتّعاريج، وبها مجرًى مائي متغلغلٌ في الجبال من الأعلى إلى الأسفل، لا نعرف كيف تمّ صنعه ولا نستطيع به أن نصل إلى المقبرة، وبها صورٌ كالبوم والفئران والقرود. مقبرةٌ غريبةٌ، لكنّه يؤكّد للجميع أنّها مليئةٌ بالكنوز الفرعونيّة، ينبش عمُّ سليمان الصّرّاف في ذكريات حياته السّابقة كالطّائرة الورقيّة التي كان يعشق لعبها وهو طفلٌ صغيرٌ يصنع الأوراق ويحاول أن يطيِّرَها لأبعد مكان، ويركض خلفها كلّما سقطت ليدفعها إلى الطّيران والطّيران مع زقزقة العصافير التي تدوّي في خفايا الفضاء بوداعةٍ وحريّةٍ ومزاجٍ عالٍ، بات هو يتقيّأ من ابتلاع برشامات الهلوسات من حين إلى حين من أصدقاء السّوء، أو عند المضاجعة مع عشيقاته، قائلًا

بكبرياءٍ مكسورٍ ومفطورٍ على حزن ما آلت إليه حياته بعد الخروج على المعاش وانتظار الكنز الفرعونيّ:

ـ كانت أخت زوجتي عمرها حوالي اثنا عشر عامًا واسمها جمالات، كانت فتاةً بهيّةً وجميلةً، جسدها مدكوكٌ، ومتوحشةٌ وحشيّةٌ تلك اللّبؤة الصّغيرة الزّاهية بوجهٍ بيضاويٍّ وشعرٍ ناعمَ، ويسترسل في لونٍ بنيٍّ فاتحٍ وعينين عسليّتين وقحتين، صعقتني بنظراتها صعقًا، عندما كانت تمسح الشّقّة، وفجأة خرج سلاحي الذّكوريُّ من بنطال البيجامة، وأنا جالسٌ على الكنبة البلدي، فجاءت بنظراتها الصّاعقة التي كانت هي من تسير وليس سيقانها، وأمسكته على غرّة، وظلّت تلعب به كالأحجية في أيادٍ طفوليّةٍ مندهشةٍ، أزحتها برفقٍ، وقد احتقنتِ الدّماء داخلي، وتوقّفت أنفاسي لبرهةٍ، وقلت بضحكٍ خبيثٍ:

ـ يا شقية اذهبي أكملي عملك.

كنت أذهب مع زوجتي كلّ أسبوعٍ في مركز البدرشين التابع لمحافظة الجيزة، لزيارة أهلها بعد انتهاء العمل من

كلّ خميس، والذهاب للتّزاور، وأخذ نصيبنا من التّموين الأسبوعيّ من اللّحم ومشتقاتها لأنّ أباها كان جزّارًا، ويذبح كلَّ خميسٍ وأحيانًا في سوق الثلاثاء، وتصرُّ جمالات عندما تأتي للزّيارة والتّنزّه عندنا في البندر على أخذها على درّاجتي، وأفسّحها في شوارع المدينة وتتعمّد الاحتكاك بي، وهي جالسةٌ من الخلف وتحتضني وتضع كفَّ يدها على سلاحي بخفّةٍ وتعمّدٍ، فأتواطأ معها بالصّمت والسّير بالعجلة حتى أنتفض وأخبرها: عيب يا جمالات احنا في الشّارع ارفعي يدك وامسكي في جادون العجلة حتى لا تقعي، فتضحك بضحكةٍ مغناج وتجيب:

ـ حاضر يا خال.

كلُّ من يكون في هذا العمر ولدٌ أو بنتٌ من ليس لهم قرابةٌ قويّةٌ أو تكون بينهم صلة نسبٍ يقول لمن هو أكبر منه في العمر يا خال.

ظلّت الأحوال بيني وبينها بين اللّعب، والشّقاوة، والقبلات والاحتكاك الممحون بالنّظرات، والهمسات،

والتأوّهات الخافضة. وفى يومٍ ما كان أبوها في العمل وأخوها يعمل معه ، والأمّ في زيارةٍ لأختها، وذهبت إلى البيت بدون زوجتي لأنّها كانت مريضةً، وفتحت لي جمالات الشّقراء بقميص نوم ساتان أزرقٍ لامعٍ عند حوافّه بعد الرّكبة بزجزاجٍ ذهبيٍّ بكرمشاتٍ وثنيّاتٍ دائريّةٍ وحمّالتين رفيعتين واحدةٌ زرقاء والأخرى ذهبيةٌ، بفتحةٍ دائريّةٍ بحوافٍّ تتداخل بها اللّونين، تظهر مقدّمة النّهدين البارزتين، كحبّات البرتقال الذى أحبُّ مذاقه، فكان لابدَّ أن أعاشرها كاملًا، وظللت هكذا سنوات، وأنا أظنُّ أنّني فضضت بكارتها، حتى في زواجها اكتشفوا أنّه غشاءٌ مطّاطيٌّ ويفتح عند الطّبيب، ويستطرد عمّ سليمان الهُمام بفخرٍ واعتزازٍ، وهو يلوك بطولاته الحياتيّة مع عالم الجنس:

ـ من صغري وأنا أحبُّ الجنس، وأدمن مشاهدة الأفلام البورنو، كنت أستاجرُ شرائط الفيديو من عند عماد خانكة أشهر محلٍّ لإيجار وشراء الشّرائط، وأحدث الأوضاع والألقاب الجديدة التي تظهر في سوق المشاهدات

والأفلام على جهاز عرض الفيديو، الذى اشتريته مستعملًا من أحد أصدقائي في العمل، وتليفزيون أيضًا مستعمل شاشة ١٤ بوصة من أحد الجيران؛ ليكون خاصًّا لي في غرفتي الخاصّةِ، بعد أن هجرتني زوجتي لسنواتٍ طوالٍ؛ لأنّها تعلم أنّني لا أحبّها وأخونها بكلِّ بجاحةٍ وجهرٍ دون أيِّ خشيةٍ أو مراعاةٍ له، وكيف لها أن تتطقَ بأيِّ حديثٍ، فهي تعترف أنّها لا تحبّني ولا تطيق مضاجعتي أو عشرتي في منزلٍ واحدٍ؟! وأيضًا أحببت زميلتي في العمل، وكنت أضاجعها في الدُّبر حتى أحافظ على عفافها، حتى مللنا، وطلبت مرادها الطّبيعيّ، فما كان مني غير أن أفعله مرّةً في الدُّبر ومرّةً في القُبُل؛ لأنّها تستمع به في الحالتين بين هذا وذاك، وعندما علم أهلها خشوا من الفضيحة، وانتقلت لمكانٍ آخرَ وتزوّجت بوسيلةٍ ما، وقد انقطعت عني كلَّ أخبارها، أمّا جارتي سميرة كانت حبَّ حياتي، وعوّضتني عن طزاجةِ وجمالِ وفتنةِ جمالات، التي هي الأخرى تزوّجت في بلدةٍ بعيدةٍ في مركزٍ يتبع محافظة الشّرقية مسقط عائلة زوجها. كانت سميرة مدملجةً ومدكوكةً مثلها، بفارقٍ

واحدٍ أنّ بشرتها سمراء، وعينيها اللتين زادهما الكحل اتّساعًا ولمعانًا.. وأغرب طلباتها أن تبدأ بمشاهدة فيلمٍ معي، وهي تحتسي البيرة وتضحك قائلةً بفحشٍ وغنجٍ، وهي تشير بعلامة تثني بها أصابعها رافعةً الإبهام:

- إن رقم six هو حياتها.. أي رقم ٦ شفرة ما تقصده من المعنى الأصلي، وأنّه مرتبطٌ بالشّراب ومشاهدة الأفلام.
- هذا رأيك.. مشكلةٌ.. مصيبةٌ.. ورطةٌ كبيرةٌ أنتِ يا سميرةَ حياتي.
- وجاءت ناهد آخر حكاياتي مع الحبِّ والمرأة. كانت في أواخر العشرينيّات، وكنت في بداية الخمسينيّات عندما تسلّمتِ العمل معي في نفس الحجرة. أحببتها بجنونٍ وطلبت منها الزّواج بعد أن أطلّقَ زوجتي التي لم تعد زوجتي منذ وقتٍ طويلٍ رفضت وهجرتني وانتقلت لقسمٍ آخر، وتريد أن تتزوّجَ من غيري.

ومع أنّه كان رجلًا يزخر فحولةً وقوّةً ذكوريّةً، إلّا أنّه أخذ يبكي فجأةً قائلًا بمرارةٍ:

ـ كنت أعشقها، ولم ألمسها؛ لأنّني تمنّيتها زوجةً وحبيبةً لبقيّة عمري الذي ضاع مع من كنَّ يعانين ويبحثن عن البديل حتى يفرغن منيّ ويبحثن عن هدفهن الأحسن. كنت أصلّى وأبكى، وأدعو عليها أن يسلّط عليها الجنّ، حتى لا تتزوّج وتهنأ بغيرى بعد أن ضحكت علىَّ لسنواتٍ، حتى لبسها جنٌّ في زفاف إحدى صديقاتها، بعد خروجه من أخرى، دخلها وأخذ يعشقها ويعاشرها ولا يستطيع أحد أن يقترب منها، وترفض رجلها الذي اختارته، دون أن يزفَّ إليها بعد فسخ الخطبة، وتكرّر الرّفض والفسخ مع كلِّ جديدٍ يأتي إليها. حاولت أن أعالجها، رفضت تمامًا وعمرها الآن ٣٦ عامًا، ورغم أنّني كنت أتمنّى شفاءها، لكنّي لم أسامحها مطلقًا؛ لأنّني أحببتها لمدّة خمس سنواتٍ كاملةٍ، وأنا أسعى وأكابد في حياتي من أجل الاقتران والعيش معها لا غير. أشدُّ ما آلمني أنّني أدرك أنّ زوجتي تكرهني؛ لأنّها تعلم أنّني أخونها، وكنت أخاف على سلاحي من حقدها وغيرتها من عشقي للأخريات دونها؛ لأنّ

صديقًا أخبرته بحالته الهامدة السّيئّة، فذهب بي إلى شيخٍ أخبرني أن زوجتي عملت لي ربطًا، حتى لا تتمتّعَ به مع امرأةٍ أخرى، رغم أنّها تكرهك ولا تريده حتى لها. وأنّه أُذِى من أجل الشّخص بالذّات، وظلّ فترةً هكذا، وتناولت كلَّ الأعشاب، ووضعت كلَّ الأحجبة سواء المشبوكة في الفانلة الدّاخليّة، أو تحت الوسادة. واضطّررت للذّهاب إلى الطّبيب الذي حقنه، وظللت أعاني وفعلت ما يمكن فعله بالماء والصّابون، حتى أعطاني الطّبيب حقنة، وانسال ماؤه وانفكَّ حبسه، واطمأننتُ عليه.

ها.. ها.. أنا.. الأمَلُ

في هذا العام من ٢٠١٩م تكون أمل المحروقة، قد أتمّت عامها الخامس والأربعين، بعد رحلةٍ شاقّةٍ وطويلةٍ مع الزّوجة الثّانية لزوجها، وجهها نحيلٌ وشاحبُ اللّون، وتحت عينيها هالتان زرقاوان - مريضة بالضغط والسكر- بالإضافة لجرعةٍ زائدةٍ من المصائب الكارثيّة التي تلقّتها في حياتها، ولا زالت تعاني من تبعاتها في أعماق روحها المحطّمة، فيشير إلى جمالٍ باهتٍ انطفأ من قسوة التّحمُّل بقوّة الدّفع من أجل تربية أولادها الثّلاثة، لكنّ وجهها رغم روحها المنكسرة وملامحها التي توحي بالحزن الدّائم حتى وهي تضحك ضحكاتٍ مبتورةٍ، وجه يزخر بنظراتٍ استثنائيّةٍ من إطلالة عينيها الطيّبتين الفاتنتين، وكأنّ بهما شيئًا من الجاذبيّة، والالتفات لحنوّهما البريء

رغم عذاباتها الموغلة في كامل جوانحها وكيانها المخرّب. المحروقة بعد أن أنهت دبلوم التّجارة (معهد متوسط)، تمنّت كثيرًا أن تكمل تعليمها، والذى يؤجّله رعاية المنزل والأطفال، إلى أن التحقت بالتّعليم (المدمج) في جامعة القاهرة هكذا يُسمّى، وعندما قرّرت تسلّم الشّهادة، أخبروها بكلِّ برودٍ أنّ كلَّ الأوراق احترقت في ثورة يناير عام ٢٠١١م، تسمّرت من الصّدمة، وفقدت النُّطق، وهى تتساءل بتعجبٍ: وما علاقة أوراق التّخرُّجِ بثورة يناير؟! أو كيف تحترق؟ غيبتها الصّدمة القويّة بعد الدّراسة بسكتةٍ نفسيّةٍ حتى أفاقت بروح التّمرُّد والقفز، لتجرُّع كأس الأسى والألم من خيانة زوجها الذى سقاها ليس كأسًا، بل دورقًا من الخسّة والنذالة، وكان ختام هذا الشّريط المتوالي من زواجه الذى انتزعت منه هذه الزّوجة اللّعوب ثلاث شقق، كانت تعمل لديه سكرتيرةٌ في شركة مقاولات مناصفةً مع صديقٍ له في مدينة الشّيخ زايد (في محافظة الجيزة) .كانتِ الزّوجة الثّانية حُبلى في طفلها الأوّل، والمحروقة في طفلتها الثّالثة، وقد صمّمت على الطّلاق، وعدم العودة إلى هذا

الزّوج الفاجر، وعندما ولدت طفلتها كانت تصرخ بشدَّةٍ حتى لو شبعت، وهي تعاني من الاكتئاب وآلامٍ شديدةٍ في جسدها، ويئست من الأطبّاء والعلاج. فذهبت إلى الشّيخ وأخبرها أنّها تحتاج لعلاجٍ روحانيٍّ؛ لأنّه يوجد عفريت يعشقها ويلازمها، واحتاجت إلى جلساتٍ قرآنيّةٍ، أربع جلساتٍ مع مِحْرِمٍ، كان يحضر معها أخواتها الأربعة وزوج أختها الكبيرة، وكانت عندما تسمع (القرآن الكريم) لا تشعر بشيء، ولا تنصت له، وعند تحضير الجلسات يتخلّلها صوت الجنّ، وتتحدَّث مع الشّيخ بصوتٍ غريبٍ غير صوتها، وتفعل حركاتٍ غريبةٍ، وتشعر بمن يقرص في جسدها حتى يفرض عليها التحدُّث.. ونالت ضربًا مبرحًا حتى يخرج منها.. وتمدّد العذاب في حياتها، حتى بعد خروج هذا الجنِّ القذر، وظلّت سنتين تتناول حبوب الاكتئاب والاضطّراب النّفسيِّ رغم أنهاعادت إلى زوجها، وطلّق الأخرى. الآن بعد هذه الرّحلة الطّويلة أصبحت في مقرِّ العمل الجديد لها كمُدَرِسَةٍ بالأجر. تراها إحدى صديقاتها القديمات وهى تهلّل صارخةً:

ـ أمل المحروقة ... أمل.

فتضحك الأخرى وتحتضنها قائلةً بسخريةٍ وضحكةٍ مجلجلةٍ:

ـ ها.. ها.. ها.. أمل.. المحروقة.

وهي تهزُّ رأسها بالإيجاب، فقد أعادتِ الكرَّةَ والتحقت بالتعليم المدمج مرّةً أخرى.. وقد حصلت على الشّهادة الفعليّة، وذهبت إلى مَدْرَسَةِ أولادها القديمة التي تعلّموا فيها لتصبح مُدَرِّسَةً بها كما حلمت مرارًا.

الأَصَابِعُ الذّهَبِيَّةُ

كانتِ العائلة تُلقَّبُ بعائلة الأصابع الذّهبيّة؛ لأنَّ الأولاد الأربعة يعملون في مجال الكوافير النّسائيّ: الأوّل يقطن في القاهرة، وله سنتر استثماريٌّ كبيرٌ مع أحد أصدقائه الأثرياء في مدينة المعادي، وبه قسمٌ خاصٌّ للمحجّبات والعرائس وخلافه، وعلى يده تدرّب وتزوّد الإخوة الثّلاثة بالمهارة والحنكة وأسرار النّجاح، رغم أنّه لا يزال يحتفظ لنفسه ببعض الحذاقة والكفاءة لبعض الأشياء، وهو يشير بسبّابته لإخوته: أعطيتكم كلّ خيري، ويبقى لي النّكهة واللّمسات الخاصّة بي يا إخواني الأعزّاء، والطّريق أمامكم.

بعد أن تشرَّبَ الإخوة الثّلاثة فنون المهنة في المحلِّ الأوَّل والقديم الذي افتتحه الأخ الرّائد في بندر (مدينة بني سويف)، وقد اختاره في حيٍّ جديدٍ راقٍ يطلق عليه أحياء

بني سويف الجديدة، وسط محلّاتٍ حديثةٍ بأسماءٍ أجنبيّةٍ وحديثةِ الطّراز مثل شانيل، لارا، بلوتو، مزنجر، وغيرها من الأسماء التي طرأت على الطّراز الجديد في المدينة منذ التّسعينيّات، من كلِّ شيءٍ ينتقل مباشرةً من القاهرة إليها؛ لقربها الجغرافيِّ منها، أصبح محلُّ الأصابع الذّهبيّة من أشهر وأعرق المحلّات في كامل المحافظة وربّما ما يجاورها، وقد كان يأخذ ناصيتين وله بوّابتان من الأمام والخلف، وبه حمّامٌ كبيرٌ بضلفتين من الزُّجاج السّميك الأسود العاكس الرُّؤية برؤيةٍ داخليّةٍ لا غير، وبداخله دولابٌ به كلُّ العبوّات من الشّامبو والبلسم ومختلف أنواع الصّبغات، وهو دولابٌ زجاجيٌّ أيضًا ممتدٌّ إلى السّقف الخشبيّ، فقد كان المحلُّ جديد التّشكيل، ويشبه الأكواخ الخشبيّة التي نراها وسط الثّلوج في الأفلام الأجنبيّة بالضّبط، وينفصل الدُّولاب عن باقي الحمّام بستارةٍ من البلاستيك المقوّى بيضاءَ بورودٍ خضراءَ زاهيةٍ، ثمّ يوجد بانيو صغيرٌ من الرُّخام للوقوف تحت الدّشِّ وحوضٌ وحمّام ستيل إيطالي، كلاهما يرتفع عليهما مسطّحٌ زجاجيٌّ عليه زجاجاتٌ صغيرةٌ لمساحيقَ

وألوانٍ لمختلف مستحضرات التّجميل، وينغلق هذا الحمّام الأسطوريُّ بباب ألوميتال ينسحب بمزلاجٍ حلزونيٍّ وينغلق بترباسٍ صغيرٍ مبطّنٍ بستارةٍ من نفس اللّون والنّوع للسّتارة الدّاخليّة عند الدّولاب الزّجاجيّ، أمّا باقي هذا الكوخ الخشبيّ للأصابع الذهبيّة به أربعُ مراياتٍ كبيرةٍ ببروازٍ فاتحِ اللّون قريبًا من درجات الأزرق الزّهريِّ بقواعدَ من الرُّخام المزخرف بتداخل الألوان بين الأبيض والرّصاصيّ والأزرق بما يتناسب مع البراويز التي تتراصُّ عليه علبٌ للأمشاط وفرشُ الشّعرِ ومساحيقُ وملاقيطُ وغيرها من أدوات التّجميل، وأمام كلِّ مرآةٍ كرسيٌّ جلديٌّ أزرقُ غامقٌ ضخمٌ بذراعين عاليين، بمسندٍ يهبط ويصعد حسب ارتفاع الرّأس أثناء عمل الحواجب والوجه بالفتلة والملقاط، أو عمل قناعٍ لغذاء الوجه، وفي مقابل الكرسيّ أسفل التّجويف الخشبيِّ الذي يمتدُّ لمقدّمة السّطح الرُّخاميّ يوجد ثلاث درجاتِ سلالمِ خشبيّةٍ لوضع السّاق لتكافئَ ارتفاع الكرسيّ، وعندما تزاحمتِ السّيّدات على أصحاب الأصابع الذّهبيّة الأربعة، وكلّ زبونةٍ تختار ما يناسبها من

أيٍّ واحدٍ منهم بالذّات حسب الرّاحة النّفسيّة، واختياراتها لتسريحة الشّعْر وألوان الماكياج، فالمحلُّ كان يتميَّز بتوفير الشّراء لجميع أدوات الماكياج والمساحيق، حتى الباروكة والأظافر العيرة التي تلصق بالأظافر الحقيقيّة، وبمختلف ألوان الطِّلاء كالمناكير والبادكير؛ لأنّ الأخ الأكبر كان يتعامل في تجارة البضائع المستوردة التي تأتيه عن طريق أصدقاءٍ يسافرون إلى تركيا وليبيا والسّوق الحرّة، غير ما يأتي من العتبة والموسكي والوكالة وكلِّ مناطق الأسواق المنتجة من المحافظات الأخرى التي انتشرت في ذك الوقت مع الثّمانينيّات في عصر الانفتاح والمضاربات والتّوكيلات التي انتشرت في ربوع مصرَ كلِّها، فاستغلَّ الأخ الأكبر عمله للتّرويج لبضاعته التي امتدّت إلى فساتين الأعراس، وقام بعمل فاترينة تأخذ نصف مساحة المحلِّ أو أكثر بنماذجَ ترتديها المانيكان، ورغم كلِّ ما بذله الأخ الأكبر من اجتهادٍ وعطاءٍ سعى إليه من أجل نجاح مشروعه القائم على أصابعه الذّهبيّة التي انتقلت إلى الإخوة الثّلاثة بقيادته وتدريبه وعطفه وحنانه عليهم جميعًا، بعد أن تشرَّبوا

المهنة وأصبح كلُّ واحدٍ منهم له زبائنه من السيدات اللاتي يأتين بالاسم، قرّر الثّالث والرّابع أن ينفصلا كلٌّ بمشروعه الخاصّ، والشروع في بدايةٍ جديدةٍ واسمٍ جديدٍ وتصوّرٍ مختلفٍ، ثم جاءتِ الفرصة التي لا تأتي كثيرًا للأخ الأكبر -الذي يعي ملكة انتهاز الفرص جيّدًا- بالانتقال إلى القاهرة؛ لفتح سنترٍ كاملٍ بطابقين برأس مالٍ مدفوعٍ من شريكٍ ثريٍّ يقاسمه هو الجهد ويتقاسم الآخر نصف الرّبح في المقابل، بينما الأخ الثاني كان مثابرًا ومخلصًا وأكثرهم إتقانًا للعمل، ويشاركه في كلِّ جولاته في البيع والشّراء وفرز البضائع، بجانب عمله ككوافير بريمو درجة أولى- قرّر أن يحتفظ بمكانه دون تغيير أيِّ شيء مما صنعه أخوه الأكبر الذي ظلّ لسنواتٍ يحفر أسماءهم تحت اللّقب الشّهير، كان الأخ الثّاني يختلف جذريًّا في كلِّ الأوصاف والطّبائع عن الثّلاثة الآخرين، كان أقصرهم قامةً، ومنتفخ الوجه، بشفتين غليظتين وبشرةٍ سمراءَ وشعرٍ مُجعّدٍ بالتواءاتٍ خشنةٍ لا يقصُّها، وعلى جانبي وجهه سوالفُ طويلةٌ، تجعله أشبه بالهيبز وروّاد موسيقا الرُّوك، التي كان يعشق

الإنصات إليها ومشاهدتها، لكن ما يجعله غريب الأطوار مع هذه السّمنة غير المتوازنة له مع قصر قامته أنّ أصابعه كانت رفيعةً وطويلةً تنساب برشاقةٍ تحسُّ أنّها من أسلاف فصيلةٍ حيوانيّةٍ، ويرتدي البدل الكاملة بالكرافت، وكثيرًا ما كان ينزع الكرافت ويكتفي بالقمصان مع البدلة، سواء في موسم الصّيف أو الشّتاء، مع تغيير جودة ونوع قماش البدل من موسمٍ لآخر، يستحمُّ في الصّيف والشّتاء بدشٍّ باردٍ بمجرّد استيقاظه مبكرًا، متفاخرًا قائلًا بمزاحٍ:

- بعد هذا الدُّشِّ الباردِ لا يصيبني مرضٌ ولا أموت ناقصَ عمر.

ثم يضحكُ بعنجهيّةٍ قائلاً:

- هذا الدُّشُّ يعلّمني كيف أكون أسدًا في الصّيف والشّتاء.

يتبعه صلاة الصّبح، فقط دون صلوات بقيّة اليوم، ويتناول إفطارًا دسمًا من يد أمّه المغرمة بجلب كلِّ شيء من مكانه الأصليِّ من عند أهلها وأقربائها من قريتها التي

تتبع مركز الفشن، كانت تجلبُ من هناك الزُّبد والخبز واللّبن والخضروات وكلَّ ما يلزم البيت بالذهاب والمجيء أسبوعيًّا لبيت أسرتها بسيّارة زوجها النّصف نقل. في الثّامنة والنّصف بالضّبط يفتح الكوخ الخشبيَّ، شاهدًا به أنّه محلُّ الكوافير الوحيد في كامل المحافظة الذي يبدأ العمل في هذا التّوقيت المبكِّر غير المعتاد على بقيّتهم من بدء العمل قبل أذان الظُّهر، أو على الأقلِّ عند العاشرة صباحًا.

الأخ الثّاني دون الباقين كانت حياته دراما كاملةً وسط العائلة التي اشتهرت بالأصابع الذّهبيّة التي كانت ذهبيّتها وبريقُ جُلِّ حرفيّتها يتجسّد في أصابع هذا الأخ بالذات وهو ينظر لصورتين معلّقتين فوق مكتبٍ صغيرٍ أنتيكا بدرجين: الأوّل لوضع المال والثّاني به كشكولٌ يعنونه «استيراد وتصدير» من جزئين: الأوّل استيرادٌ والثّاني تصديرٌ للبضائع التي يشتريها منَ التُّجَّار والتي يبيعها للعميلات بالكاش أو بالتّقسيط، كلٌّ حسب مقدرتهنّ، وحين ينتقل للجلوس على أحد الكراسي من المرايا الأربعة وقد أصبحت

جميعًا ملكه، وفرغ من عمله، وانفضَّ الجميع من حوله، في أوقاتٍ ما يدخِّنُ سجائرَ مستوردةٍ، ويحتسي فنجانَ قهوةٍ بُنّ محوّج بالحبّهان والمستكة دوبل؛ لأنّها في كوبٍ من أكواب صنع الشّاي، ودون إرادةٍ ينظر إلى الصّورتين الكبيرتين ببروازٍ بنيٍّ مغمّسٍ بالذّهبيّ الأولى: وهو يرتدي بدلًة بيضاءَ صيفيّةً بقميصٍ أخضرَ فاتحٍ وكرافت عريضٍ مقلّم بالأخضر والأبيض وخلفيّةٍ سوداء، وبجانبه الكلب جولد الضّخم جالسًا أسفل قدميه، تتدلّى منه سلسلةٌ فضّيَّةٌ لامعةٌ التقطها له صديقه المصوّراتي المعروف (نجمة عرابي) بلقطاته المميّزة في التقاط النّظرات المعبِّرة، واللّفتة الجاذبيّة المثيرة للتمعُّن، وبطل الصّورة يبتسم بغرورٍ وأنفَةٍ مع كلبه بعنفوانه وكبريائه بعيونٍ صقريّةٍ، ولكنّها عذبةٌ ووديعةٌ، يلتفُّ رقبته بطوقٍ جلديٍّ أسودَ، وقد تذكّر أنّ هذا كلبه الأليف والحبوب جونسون؛ لأنّه يفضّل جدًّا استعمال شامبو جونسون للأطفال لشخصه، ويعجبه الاسم بوجه عام، وهو من اشتراه من صديقٍ للأخ الأكبر قرّر السّفر إلى خارج مصر، وأراد له مشتريًا يحبُّ اقتناء الكلاب، وتربيتها

جيّدًا والاعتناء به حتى لا تسوء حالته النّفسيّة أو الجسديّة. حاول الأخ الثّاني أن يحتوي الكلب بالرّعاية، وقد تسلَّم من صاحبه قائمةً بما يحبُّ وما يجعله ينفر وما يجعله سعيدًا، لكنّه بعد رحيل صاحبه ظلَّ قابعًا في غرفة الأخ الثّاني صامتًا، لا يخرج ولا يأكل، في حالة سكون تامٍّ بين الموت والحياة، حتى مرض وهزل وساءت صحّته، فاستدعى الأمرَ الذهابُ إلى طبيبٍ ومع العلاج ونصائح الطّبيب بدأ يتكيّف وينجذب إليه، وقدِ اعتاد انتظاره خارج الكوخ الخشبيّ، يرافقه في الصباح إلى العمل والعودة معه في المساء إلى المنزل، وفي إحدى المرّات ناكفه بشراسةٍ أحدُ الصّبية المشاكسين في الحارة بإلقاء الطُّوب عليه وملاحقته به، فدافع جونسون عن نفسه بأن نهش ذراع الصّبيِّ ابن الجيران، التي أهاجت جميع من في الحارة على أسرة الأصابع الذَّهبيّة، فما كان من الأب الذي يعمل موظّفًا في وزارة الصِّحَّة إلّا أن تعهَّد بعلاج ذراع الطّفل المشاكس، وفي غفلةٍ أثناء عمل الأخ الثّاني من الصّباح إلى المساء أخذ الأب الكلب ووضعه في جوالٍ بعد أن وثَّقَ أرجله الأربعة، ثم تناوب بالضّرب عليه

بالخرزانة التي كان يضرب بها أولاده لعقابهم حتى مات، وعلّل الأب موقفه أنّه كان موضوعيًّا، وقد قتل الكلب من أجل الجيران الذين تضايقوا، حزن الأخ الثّاني حزنًا شديدًا، جعله يترك المنزل ويبيت عند إخوته المتزوِّجين، حتى توسّلت وألّحت أمُّه في العودة، واحتفظ بصورته معه بعد أن كبّرها في برواز ضخمٍ مثل الملوك، أمّا الصّورة التي تجاورها في الحجم ونفس شكل البرواز، كانت صورةً له بالأبيض والأسود، وهو بعد شابٌّ في عمر العشرين يرتدي بدلةً أنيقةً سوداءَ وقميصًا أبيضَ وكرافت أسودَ رفيعًا مسحوبًا إلى حزامِ الخصرِ الجلديّ بمشبكٍ معدنيٍّ يحزم وسطه على شكل علامةٍ تجاريّةٍ مقلَّدةٍ مربّعةٍ، وكان شعره به شعثٌ وتهويشٌ أكثر من الآن وسوالف أكثر ثقلًا عن سوالفه المحدّدة والخفيفة أيضًا، وعيناه تضجُّ بالصّخب والتّمرُّد أيّام الشّباب والجنون الذي لا يقاوم في اقتراف أخطاءٍ فادحةٍ لا ندركها بغشاوة الإفراط في الحماس، والانسياق وراء فِخاخ الحياة التي تقضي على كلِّ مصيرٍ قادمٍ لنا في اختياراتٍ أخرى، وأصلح للحياة لمجرّد أن كانت محض

صدفٍ قدريّةٍ خاطئةٍ للغاية، وقد أتمَّ دراميّة حياته عندما كان في العامّ الثّاني في كليّة التّجارة- جامعة القاهرة، والتقى بأمٍّ صديقٍ له أرملةٍ فاتنةٍ، لديها ولدان: الأوّل صديقه في الجامعة والثّاني في الثّانويّة العامّة، وتوثّقت علاقته بالصّدفة بزميلِ الجامعة والذّهاب إلى بيته للمذاكرة والمرح والتفكُّهِ. كان يذهب إلى بيته يوميًّا وأحيانًا يبيت في المنزل، أحبَّها حبًّا جمًّا، وتزوّجها سرًّا لمدّة عامين، ويعيش معها في شقّةٍ أخرى كانت تمتلكها في حيّ (إمبابة) ولم يقلْ لأحدٍ أنّه تزوّج وأنّه يرسب منذ عامين، وكلّما سألوه عن الشّهادة يخبرهم أنّه ناجحٌ، حتى ظهرتِ الحقيقة في البكالوريوس، عندما ذهب والده بنفسه وعرف كلَّ الحقيقة، وهرب إلى الإسكندريّة، وكان يبيت في الشّوارع، ثمّ عمل في محلِّ كوافير، واستأجر غرفةً، وتعرّف على سيّدةٍ أثناء عمله، وكانت متزوّجةً من رجلٍ ليبيٍّ، وأحبّت شخصًا كان يعمل في الجمارك، والتقت به هي وصديقتها التي أغوته بعد ذلك وأخذته منها، كانت تأتي له كلَّ يومِ ثلاثاء، يزيّنها، ويغسل ويكوي لها شعرها، وتذهب إليه يوم الأربعاء، ثم تغادر

شقّته يوم الخميس، حيث كان يسافر لبلده، فقد كان من الصّعيد ومتزوِّج وعمله فقط في جمارك الإسكندريّة، بينما الأخ الثّاني كان يحبّها دون أن يصرح بذلك أو يعلم حقيقة أمرها، كانت تخدعه منذ شهرين، وهو بيده يزيّنها لغريمٍ آخرَ، أخبرته أنّ زوجها يعمل في مكانٍ بعيد ويأتي يومين، لقضاء وقته ومتعته ثم يسافر، وعندما فاض به الكيل، واجهها بعد أن راقب خطواتها، فأخبرته بكلِّ وقاحةٍ أن العشيق الأوّل لم يحبها، وخانها مع أعزِّ صديقاتها، وأنّها تحبّه هو من يوم أن لمحت شعر صدره الكثيف، قبل أن ينبذ ارتداء القمصان وفتح أكثر من زرٍّ منذ أن التحق بالجامعة وصولًا إلى الهروب من القاهرة إلى الإسكندريّة، قرّر أن تكون هي حياته وحبّه الكبير ورسالته التي سيحرّرها بها من هذا الزّوج اللّيبيّ الذي يماطل في تطليقها منذ سنوات، ولا يأتي إلّا شهرين أو ثلاث في السّنة، وهي وأسرتها يضغطون عليه من أجل الطّلاق، حتى استنفذ كلَّ وسائل المراوغة والتّماهي والتودُّد من أجل إقناع زوجته بالرُّجوع إليه، والسَّفر معه إلى وطنه، حتى قال لها أخيرًا أنّها لن ترى

ابنها وسيطلِّقها ويسافر به إلى وطنه دون عودةٍ، فإمّا أن تأتي معه وابنهما ويعيشون معًا، وإمّا تظلُّ هنا في الإسكندريّة بمفردها، ووافقت بنازعِ الأمومة وتحطُّم حبّه للمرّة الثّانية، ولم يستطع البقاء في الإسكندريّة بعد رحيلها النّهائيِّ، وربّما لا تعود إلى الوطن الأمّ، وانهارت أحلامه في حبِّ تخيُّله- حبّه الدّاني والقاصي، وتعقد من الحبّ والزّواج وأيّ اقترانٍ بأنثى، كما لم يستطع الاحتفاظ بالكلب جونسون، لكن ظلّت معه الأصابع الذَّهبيّة لا تخونه أو تبرحه أو تفرُّ منه.

حَالَةٌ شَعبيّةٌ مُفْرِطَةٌ

حي الغمراوي هو حيٌّ تتشابه معه الكثير من الأحياء في مدن مصر، والذي يتبع العشوائيّات، وهي منازلُ متراصّةٌ ومتلاصقةٌ في شكلٍ هندسيٍّ واحدٍ لا يزيد عن طابقين في أغلبه، حارة داخل حارة في زنقةٍ خانقةٍ، وتتداخل جميع أجزائه، لتبدو الكلّ في واحد، من البالوعات التي تطفح من الوسخ إذا انهارت بالوعةُ إحدى البيوت الضّيّقة مثل عُلب الصّفيح، فالبيتان أو الأكثر يتشاركان في حمّامٍ واحدٍ للرّجال والثّاني للسّيِّدات، والسُّطوح بها عشش الفراخ والدّواجن الأخرى، وحبال الغسيل الذى يتناوبه حراميّة الغسيل بين حينٍ وآخر، إذا التقطوا قطعة ملابسَ ولو بها مسحةٌ من القيمة والأناقة، ولأنَّ الحرامي من الجيرة غالبًا، يبيعها في سوق الجملة أو خارج الحيِّ تمامًا، ليس حتى

من أجل ألّا ينكشف أمره؛ فهو معروفٌ بين أبناء حواري الأحياء المجاورة، وإنّما والأهمُّ لكي يحصل على المال المطلوب لقضاء حاجته الملحّة، شيء يشتهيه، شراء الكيف من المخدِّر الذي يدمنه، نزهة مفتخرة مع حبيبته.

كان خلف الرِّستاوي الابن الوحيد لأمِّه التي كانت تعمل في مغسلةٍ في شارع فيصل في الجيزة. وتتفذلك في الحوارات والأفعال بالفهلوة والشّطارة بادِّعاء أنّها تفهم في كلِّ شيءٍ مع زبائن المغسلة والباعة الجائلين والجيرة والجميع تحت شعار: «الحمد لله على الفقر والجدعنة» وهي تلامس نبضهم بإحساسها ومشاعرها الرَّهيفة التي لا تخيب مع صنع أحلى كوب قهوةٍ بعد وضع سِنّة (الأفيون) تحت لسانها، عندئذٍ تستغرق في التّفكير وتسديد الأحكام في صوابها، وتربط العصبة حول رأسها بحزمٍ وتقول: «وقت الفكر خلص، ووقت الفرفشة حضر» وتحتسي كوبًا آخر من القهوة المطعّم بقطعةٍ من (الحشيش) مع أنفاس السّجائر السّاخنة، كانت تحبُّ وتقدِّر ابنها البلطجيّ المشاكس

الذى تلاحقه في أقسام البوليس وخناقات البلطجة.

فرح خلف الرِّستاوي كان غريبًا جدًّا، وبه أشكالٌ غريبةٌ على شكل الجنِّ، وأقنعةٌ مخيفةٌ يضعها أصدقاؤه والصّبية المستأجرون على وجوههم، ويقفون على المسرح الخشبيّ بجانب فرقة الآلات الموسيقيّة من الحيِّ ذات نفسه تقوده المعلّمة صبورة المرتدية العباءة السّوداء، والتي تلمع بالترتر والخرز الملوّن، وتربط حزامًا عريضًا من الكتّان المحزّم بالرّباط المحكم بأكثر من التفافٍ من أسفل نهديها إلى (كرشها) الضّخم المليء بالمال حول خصرها والذي تضع فيه أموال التّحيّات. عندما يصعد الرّجال لتحيّة العريس والعروسة على المسرح الخشبيِّ المزيّن بحبالٍ من النُّور حمراء وخضراء، وكلوبّات صغيرة، بطرازٍ حديثٍ بأربع شبابيك بنفس الألوان للاحتفاء بضيوفٍ من أحياءٍ مختلفةٍ: شبرا وفيصل والزّاوية الحمراء، والشّرابيّة، ونجومه المسرحيّة: محمد عشرة، أحمد اللحم، خالد سمكة، ضيوف مجدي أبو سنّة صديق العريس الحميم

والمقرَّب إلى قلبه. يبدأ الحوار من شخصٍ محدّدٍ بالدّور من منطقةٍ ما، وليكن مِنَ (الزّاوية الحمرا)، ويطلق عليه النبطشي، يهتف بحماسٍ وقوَّةٍ: «عمّ سيّد مراد صاحبي وصديقي وبلطجي أصيل»، ويستطرد في ذكر قائمةٍ بأسماءٍ منها الحقيقيَّة ومنها الوهميّة حسب ذاكرته المغيّبة، أي التي ربّما رحلوا عن الحياة أو في السّجون أو هاجروا لأماكنَ أخرى على حسب الذّاكرة: عاطف، طارق، مصلح أخو مجدي أبو سنّة، حسن صديق طارق، حنفي عتريس المرحوم الغالي قوي، محمد عشرة، خالد سمكة، أحمد اللّحم.. ضيوف عريسنا العترة ملك الجدعنة والشّهامة، والفرقة بندٌ شعبيٌّ أصيلٌ من الدّرجة العاشرة، يبدأ أحمد اللّحم التّحيّة قائلًا بقوّةٍ: «سلام يا عمنا على طول السلام، سلام حاير، داير علشان خاطر ناس الشّرابيّة، والزّاوية والنّاس، والنّاس ياعمّنا اللي شرَّفتنا من غمرة، وحاسب يا سيدي سلام علشان خاطر خالد سمكة ومحمد عشرة وأحلى عشرة والرجّالة اللّي شرّفونا من الطالبيّة، شرِّيبة الحشيش على الرِّيق وعفاريت الأسفلت والنّعش الطّاير»

(عربة البيجو)... ويزخر المسرح بتوالي الجديد من الحضور، الذي سيتحوَّل بعد لحظاتٍ إلى دراما داميةٍ بين تلاحق المشاهد، ويحضر آخرون للفرجة، والتّطبيل والمؤازرة وتناول الطّعام والكيف بوفرة، وهي من واجبات الضّيافة والكرم (طبق الواجب عبارة عن مستويات، كلُّ مستوًى له درجة، الأولى: حبوب النّوفاسيين، برونكلاز، باركونول، نوفوترل، كلّ بلطجي يختار ما يناسب ذائقته، المستوى الثّاني: طبقٌ به نتفٌ من الحشيش والأفيون، ويأتي رجلٌ يضع الواجب وينصرف، ويأتي آخرُ يضع صندوقًا من البيرة أسفل أقدام البلطجيّة، ويتناوب الجميع التّناول من الطّبق الأوّل والثّاني بين خلطة الاستحلاب أو الاستنشاق والشّمِّ، أو في أكواب الماء أو الشّاي أو لفائف السّجائر بعد تفريغها بلفِّها بماكينةٍ أو بطريقةٍ يدويّةٍ أو خوابيرَ أو على الشّيشة، كلٌّ حسب دماغ البلطجيّ الذى يتناول الواجب)، في النّهاية تُسلَّم النّقطة -التّحيّة- بدفع المال، ولا بدَّ أن يستحضروا سيرة المرحوم سيّد مراد العطرة البلطجيّ الكبير، ويردُّ مباشرةً أحمد اللحم: (سلام يا عمّنا لسيّد مراد

صاحبي وحبيبي وكرسي في الكلوب). وهنا يعلو صوت النّفخ بالمزمار الذي يستفتح شهيّة العراك المحموم، بإلقاء كرسيٍّ في إحدى الكلوبّات، برفعه لإطفائه وكسره حتى تنغلق الفاتحة، هذا قانون التّحيّة وختمتها، ويدخل محمد عشرة وسط حديثه قائلًا: (حاسب يا عمّنا سلام على طول السّلام للشّرابيّة، وناس الشّرابيّة، مصنع الأدب، والحيّ أبقى من الميّت يا عمّنا، الله يرحمه، كان صاحبنا وصديقنا وماتفوَّقناش بقا، احنا جايين ننبسط). خالد سمكة مهلِّلًا وغاضبًا، إلى أحمد اللّحم: «يا ابن الكلب يا ابن... يا ابن... اضرب محمد عشرة بالطّبنجة» ولكنّه يتخاذل ويهاب الموقف، يخرج خالد سمكة فرد ناري صناعةً محليّةً بداخله (خراطيش) الطّلقات الجاهزة للانصياع والانطلاق على من يأتيه الحظُّ اللّيلة، ويفزع جميع من في الفرح، ويبدأ الكرُّ والفرُّ والعراك بالكراسي، وزجاجات البيرة الخضراء، وينجو العريس والعروس بحملهما حَمْلًا بالكراسي المستعارة من أحد البيوت لإنقاذهم جميعًا، يجري اللّحم في غمضة عينٍ، ويختبئ في حارة بعيدةٍ في

آخر الحيِّ؛ منتظرًا عشرة وهو يلاغي ويعاكس امرأةً لعوب يهواها، ثم يأتي عشرة مترنّحًا مدوَّخًا يلاحق أنفاسه منَ الفزع والرّكض، يسأله اللحم:

- لماذا تأخّرت؟!

يجيب بترنُّحٍ وهو يلهث قائلاً:

- كنت مختبئًا وراء الكشك.

يصرخ فيه:

- أيُّ كشك؟

بتراخٍ ونفاد صبرٍ يجيب:

- كشك الكهرباء يا غبيِّ.

ويستطرد أنادى عليك: أحمد.. أبو سنّة.. بصوتٍ منخفضٍ، ويمثّل النّداء؛ واضعًا سبّابته على فمه بهمس:

- أحمد.. أبو سنّة.

يجيبه عشرة باستهزاء:

- ولماذا يا ناصح لم ترفع صوتك؟!
- أنا كنت خائفًا أنّ يطلعّ صوتي ويسمعني خالد سمكة، ويضربني بالفرد في دماغي.

أمّا مجدي أبو سنّة صاحب الدّعوة لأصدقائه الثّلاثة، فقد أتى في آخر اللّيل مصابًا بلكمةٍ في عينه اليسرى، بينما خالد سمكة يطيح بسلاحه راكضًا؛ يبحث عن اللّحم والخائن عشرة، حتى ينفضَّ الفرح بحضور صاحب الفراشة بأن يلقي كرسيًّا في الكلوبات الباقية، ثمّ يُقطع النُّور تمامًا من الحيِّ من أجل أن تنتهي معركة الزّفاف.

الجَرِيمَةُ الكَامِلَةُ

بدايةُ الأحداث التي لم تكن توحي مطلقًا بهذه النّهاية الكارثيّة لأبطالها الأربعة بكلِّ هذه الدّراما المأساويّة، والتي أدّت إلى ذلك المصير النّهائيِّ بالدّخول إلى السّجن. هكذا تكون كلُّ البدايات ضعيفةً وهزيلةً، ولا تحتمل الكثير من الخوف والشّقاء، حتى تتحوّل إلى تعاسةٍ ومرارةٍ وندمٍ. كان لطفي جالسًا في شقّةٍ وضيعةٍ، بل ممكن أن نصفها بالحقيرة، تتكوّن من صالةٍ وغرفةٍ وحمّامٍ ذي مقعدةٍ مسطّحةٍ يقعد عليها القرفصاء للإخراج، أي ما يطلق عليه (الحمّام البلديّ). وحوائط المطبخ مسودّةٌ ومليئةٌ بشباك العنكبوت التي تمثِّل جغرافيًّا ضحايا كثيرين يلتقطهم نسيجٌ هلاميٌّ من الخيوط المتشابكة، وقد اضطّر لتأجير تلك الشّقّة لتصريف بضاعته والبيع والشّراء.

وافق على دعوة صديقيه للغداء مع تاجر الكيف هاني وشريكه عليّ، والحبس بالسّجائر الملفوفة المهداة والشّاي الثّقيل المغلي -يطلق عليه الشاي الصعيدي الكح- بعد هذه الغدوة المعتبرة التي كانت من أجل استمالته لتنفيذ خطَّة هاني وعلي. لطفي كان يتعاطف مع سيد؛ لأنّهما من طبقةٍ واحدةٍ، لكنه كان يضمر له الغلَّ والحقد والحسد الذي يصل إلى حدِّ رغبة قتله؛ لأنّه يعيش مع فتاةٍ جميلةٍ، فقرّر الثّلاثة قتله والانتقام منه؛ فهم أصدقاء في الكيف والسّرقة والبلطجة والأكل والشّراب، فكيف يرفض أن يقاسموه فيها؟! وعندما تحايلوا عليه بشتّى الحيل والألاعيب الصّبيانيّة، كأن يغرقونه بالشّراب حتّى السّكر، لكي يزعن ويحاول إحضارها لمقابلته في شقّةِ عليّ الفاخرة في حيّ الهرم ، أو أن يهديه هاني المعلم الكبير في ترويج المخدّرات زوجًا من الأحذية الإيطاليّة استيراد مهرّب واستعمال نظيف، أو حتى يخبر صديقه لطفي العزيز والقريب منه منذ الطّفولة؛ لأنهم جيران في بيتٍ واحدٍ، وهو يعده دون وجود الآخرَيْن أنّه سيؤجّر غرفةً بعيدةً عن

الحيّ ويقاسمها معه فقط، فهما كالأخوين، وقد تربّيا -كلٌّ منهما- في بيت الآخر، بل ويدّعي لطفي لسيّد أنّ أمّه أخبرته أنّهما أخوان في الرّضاعة، فعندما كانت أمُّه مريضةٌ تولّت أمّ لطفي إرضاعه مثل ولدها، تطعمه وتحفِّضه وتحتضنه مثله تمامًا فلم يضنّ عليه بفتاةٍ فقيرةٍ مثل تلك، تعمل في محلٍّ بيع العطور والإكسسوارات النّسائيّة، وتعيش مع أمِّها الكفيفة في حجرةٍ على سطح إحدى العمارات في حيّ (الطوابق) في منطقة فيصل. كلُّ هذه الإغراءات! رفض سيّد تمامًا، حتى يخبرهم عن أيَّةِ معلوماتٍ عنها كمكان عملها مثلًا، أو أين تعيش بالضّبط، أو الغرفة التي قام بتأجيرها بعيدًا عن منطقة فيصل أو الهرم بالكامل، حتى ينعم ويستمتع بها كاملًا وخالصًا. ذهبوا إليه وأحضروه عند لطفي، وكان الاثنان يحملان نوعين من السّلاح: الأبيض وهو سكِّين قرن غزال مع هاني يخبِّئه في جراب البنطلون، ومسدّسٌ مع عليّ يضعه في مئزر البنطال من الخلف عند خصره، وظلّوا يحتسون خمر (بولانكي) الرّخيص الذي جلبوه من كشكٍ معروفٍ في الحيِّ الذي يسكن فيه سيّد ولطفي يبيع الخمر

المضروبة، جلبها لهم سيّد بطل الحدث في ذاك الوقت، وظلّوا يشربون حتى تهالك عليّ الذي يقتني السّلاح، حتى أنّهم خشَوْا أن يقتل نفسه من عدم تحكُّمه في تقدير وحساب عقله، والذي زاد وحطَّ عليه جنون العظمة، والتَّفاخر بنفسه وهو يصيح بأنّه الزّعيم، وأخرج المسدّس يلوِّح به ويهدِّد، فهاج الثّلاثة وأمسكه هاني من كتفيه بقوّة، حتى سقط من يده والتقطه لطفي، وقد اشتدّت ثورة هاني عليه يسبُّه ويشتمه بأفظع الشّتائم، ويسكب عليه الماء السّاقع؛ حتى يفيق من نوبة السُّكَّر العارمة، حتى هدأ نزاله وقد أحضر له سيّد كوبَ قهوةٍ كبيرًا ومركّزًا، وأذابوا به نثرات مهدِّئةً من أنواع البرشام الذي يتناوله أصحاب مرض الصّرع والهياج العصبيّ. واقترح لطفي النُّزول للتّمشية والتّرويح بالسّير وتناول الطّعام، أصرّ علي على استرداد المسدّس منه مدّعيًا أنّه عاد إلى صوابه، وفي أحسن حالٍ وقد نسي الثّلاثة أمر الاجتماع الحقيقيّ بالذّهاب بسيّد إلى مكانٍ مهجورٍ وقتله، ماعدا عليّ الذي أوغر ضميره بالشّرِّ بابتسامةٍ خبيثةٍ، وهو يطلب سلاحه باستجداءٍ وأنّه مرخصٌّ، ولا خوفَ منه حتى

لو ارتاد به الشّوارع، حين ينازعه أحد أفراد الشّرطة أو أيّ فرد. رفض عليٌّ السّير في الطّرقات، ودعاهم للرّكوب معه في سيّارته للذّهاب إلى مطعم (حاتي) مشهورٍ في (فيصل) صاحبه صديقه، وسيقوم معهم بأفضل واجبٍ ومشهّياتٍ؛ تعويضًا واعتذارًا عمّا سبّبه لهم من كبح الأنفاس من الزُّعر والهلع الذي أصابه في نفوسهم، رفض لطفي وقد شلّه الإرهاق والتّوُّتر العصبيّ بأنّه يحتاج إلى النّوم وليس الطّعام، وزغر بعينيه إلى سيّد أن يتبعه ويرفض الدّعوة؛ لإحساسه بعدم الأمان لمن يحملان سلاحًا، ولا يفارقان بعضهما في الحلوة والمرَّة مهما كان، لكنّه فاجأه ببلاهةٍ أنّه جوعان جدًّا، وسيذهب ويعود فورًا إلى بيته. وكأنّ تلك النّظرة التي أسقطها لطفي نحو سيّد هي نذير الشّؤم والحدس الشّرّير، فبعد الطّعام والمساجلات الودِّيّة الزّائفة والماكرة أخذوا سيّد إلى مكانٍ بعيدٍ وخالٍ، وقام هاني بتكتيف يديه بحبلٍ سميكٍ، ورفع عليٌّ عليه السّلاح، وركض سيّد وهم يجرون وراءه يضحكون ويسخرون، حتى ركله هاني في إحدى ساقيه، فسقط يلهث أنفاسه وقد ركع على ركبتيه ساجدًا،

وهو يصرخ وينوح، حتى تساقطت دموعه مدرارًا، يترجّاهم ويستعطفهم أن يتركوه يعيش من أجل أمّه وأخته اللتين يعولهما، لكن اشتدت حمية عليٍّ الانتقاميّة؛ طالبًا منه أن يولول أكثر، حتى جعله يسفُّ التُّراب، وقد وضع فردة حذاءٍ له على رقبته، والاثنان يصيحان بالضّحك الصّاخب، وكأنّهما في مسرحيّةٍ كوميديّةٍ مثيرةٍ للضّحك، مع استمرار السُّخريّة من هذه الكوميديا السّوداء. تهالك الثّلاثة، وفجأةً.. فقد سيّد الوعي، فارتعب الآخران وفكّا قيوده، وبسطوه في الخلاء وظلّا يطرقان وجنتيه بعنفٍ ووضع هاني أذنه على قلبه، شعر بأنفاسه، فحملاه إلى السّيّارة، وتناولوا جرعةً مكثّفةً منَ البرشام المنشِّط. قاد هاني السّيّارة بسرعةٍ جنونيّةٍ، ودخل محطّة الوقود وفوَّلَ السّيّارة دون أن يدفع النُّقود، والعامل يصرخ وينادي دون جدوى، ثمّ أخبره عليٌّ بفكرةٍ خاطفةٍ طائشةٍ قائلاً:

- تعال بنا نذهب إلى الإسكندريَّة، حتى يفيق هذا الأهطل.. الغبيّ،

لكن دون وعيٍ ذهبوا إلى محافظةٍ قريبةٍ منها، البحيرة في مركزٍ يسمّى (إيتاي البارود)، يعيش فيها قريب لعليّ، لم يجدوه، فعرج إلى عامل فراشٍ يعمل في مدرسةٍ حكوميّةٍ وهو على صلة قرابةٍ به من بعيد، وتعاركوا معه، لأنّه كان يرفض أن يفتح لهم باب المدرسة، ليدخلوا، وقد استعاد سيّد وعيه وهو في ذهولٍ وصدمةٍ أعجزته تمامًا عن النطق، وقد وجد نفسه خارج محافظة الجيزة إلى محافظةٍ أخرى في ليلةٍ واحدةٍ، واضطّر معهما للاشتباك مع هذا الرّجل الضّخم الجثّة، ويرتدي جلبابًا مفتوحًا على الصّدر، تحته صديريّةٌ بأزرارٍ صغيرةٍ مقلّمةٍ بالأسود والأبيض، وسروالٍ طويلٍ وحذاءٍ كالحٍ أسودَ مبرطشٍ، وكان قادرًا على منازعة الثّلاثة وإثارة الجلبة وجلب الأهالي رغم ستر اللّيل، وحراسته بمفرده في مكانٍ ناءٍ في مجمّع مبانٍ حكوميّةٍ، فأطلق عليٌّ الرّصاص على قدمه اليسرى، وخرّت الجثّة الهائلة تنزف، وأخرج هاني سلاحه الأبيض -قرن الغزال- وظلّ يطعنه في صدره بجنونٍ وهوسٍ ما يعادل اثنين وثلاثين طعنةً، حتى فارق الحياة، وأصابت سيّد لوثةٌ من الصُّراخ وهو يجذبه

جذبًا عنيفًا أن يتوقّف، بينما عليٌّ ينظر للجميع ويضحك بهستيريا، حتى أصيبت يد سيّد طعنةٌ غير مقصودةٍ، فخرمت يده وصرخ صرخةً موجعةً من الألم، فتوقّف عليٌّ عن الضحك، وجذب سيّد يحتضن جرحه، حتى ملأتهم الدّماء جميعًا، من جثة تشلح بالدماء من الأسفل في ساقه، وصدره بنزيف حاد من جراء طعنات هاني المتتالية والمتضاربة، ثم جذبوا سيد الذي يتدفق الدماء من ثقب في باطن يده، وتركوا السّيّارة، وظلُّوا يركضون إلى التُّرعة، وأسقطوا أنفسهم فيها، واغتسلوا، ثم جرُّوا سيّد جرًّا إلى أقرب مستشفًى، وقد كانت حكوميّةً، فمنعوهم من الدُّخول، وهدّدوهم بتبليغ الشّرطة، فهربوا؛ باحثين عن مستشفًى آخر تكون خاصّةً، وقد أسرعوا إلى الطّوارئ، ثم رفع عليٌّ المسدّس على الطّبيب النوبتجي للنّوبة الليليّة، ومن معه من الأمن، حتى تمَّ خياطة الجُرح وتنظيفه، وسيّد يصرخ منَ الألم، وفقد وعيه مرَّةً أخرى، وحملوه حملًا لخارج المستشفى، وأوقفوه تصلُّبًا وغصبًا، ثمّ ظلّا يدفعاه حتى وصلوا به إلى السّيّارة في المقعد الخلفيّ، وقال عليٌّ لهاني

بكلِّ برودٍ وسخريّةٍ:

- إننا لم نذهب إلى الإسكندريّة بعد.

عندما بدأت آثار البرشام ريفوترل (أبو صليبة) هكذا يطلقون عليه. تتبخر من عقولهم المختلّة وأجسادهم المستنفذة، بدآ يرتجفان من برد شتاء مارس الذي اقترب منَ الانتهاء، فأخرجا كوكتيل من عدّة برشاماتٍ، وسحقوها بشاكوش صغيرٍ يحتفظ به عليٌّ تحت مقعد السّائق ضمن أدواتٍ يعوزها في إ صلاح أعطال سيّارته، وعندما أفاق سيّد ناولوه حبّةً دون طحنٍ وزجاجةَ ماءٍ، ووصلوا إلى شاطئ الإسكندريّة، فنزل ثلاثتهم، وكانتِ الشّمس تشقُّ طريقها إلى الشّروق، وقد خمدت كلِّ الرّغبات الحيوانيّة البشعة مع زوال ليلٍ بهيمٍ أعمى، فسقطوا في نومٍ عميقٍ.

مَسْرَحُ مِصْرَ

كانت تعمل في مجال النّشاط الإنسانيِّ الافتراضيِّ، وعنونت صفحتها على الفيس بوك «خبايا عالمٍ افتراضيٍّ» تستقبل منه على الخاصِّ كلَّ الحالات المعنيّة بمشاكلَ نفسيّةٍ، ويحتاجون إلى البوح والفضفضة وتقديم الحلول لهنّ، وإذا تعذّرتِ الحلول تعمل على المواساة والمحاباة والصبر، والثّقة بالله ورحمته. أكثر ما خاطر وجدانها أنِ اتّصلت بها صباح تليفونيًّا، من مركز ناصر (محافظة بني سويف)، ترجوها أن تساعدها في أن يرى طفلٌ من قريةٍ مجاورةٍ لهم مريضٌ بالسّرطان، وأمّه أميّة تجهل كلَّ عوالم النّت بما فيه العالم الافتراضيّ الأزرق، ذلك أنّه يبكي راجيًا رؤية الممثّل المسرحيّ المشهور(أشرف عبد الباقي)[1]

(1) **تنويه:** مسرح مصر، فرقةٌ مسرحيّةٌ مشهورةٌ في محافظة القاهرة، وأشرف عبدالباقي، فنّانٌ مصريٌّ مسرحيٌّ مشهور.

عن قربٍ أثناء العرض المسرحيِّ حيًّا نابضًا دون المشاهدة التّليفزيونيّة؛ لأنّه يعشقه وجميع فرقة مسرح مصر، فهو يريد أن يقترب منه ويحتضنه ويقبِّله، وأنّها ربّما تستطيع ذلك من خلال نشاطها الاجتماعيّ الافتراضيّ، وعلاقاتها مع أصدقائها الصّحفيين والإعلاميين الممتلئة بهم قائمة أصدقائها وصديقاتها، وأيضًا مستعدةً للتكفُّل الكامل لهذه الرّحلة الفنّيّة من أجل هذا الطّفل الذي لم يكمل العاشرة بعد، ويعاني من المرض الخبيث. كانت صاحبة الصّفحة الافتراضيّة الإنسانيّة، تحدِّثها من مكبِّر الصوت في المطبخ أثناء الطّهي، واستمرّت المحادثة لأكثر من ثلث ساعةٍ وسط أبخرة الطّعام، والأوعية والأواني، وانتهت الإشارة التليفونيّة، وأصابها وجومٌ حادٌّ، ثم فجأةً.. ذهبت إلى السّرير تسترخي في صمتٍ وتفكيرٍ عميقٍ لهذا الطّلب الجديد والغريب ممّن تسمعهم، وتقترحه مشاكلهم من أصدقائها وصديقاتها الافتراضيّين، ومثل لها حادثًا غريبًا لهذا لطفل، وجارته، والذين يستخدمون وسائل التّواصل الاجتماعيّ، وهم يطمحون ويحلمون ويسعون لتحقيق أمانيهم الخاصّة والصّغيرة داخل مسرح الحياة على الشّاشة الزّرقاء.

فَارِسُ أَحْلامِي

مرَّ عامان، وما زالت تحتفظ برسالته في ليلة الحادثة المشؤومة: (يعني يا جزمة، يا واطية، لو ما سألتش، إنتِي ماتسألِيش؛ ماشي لمّا أشوفك يا كلبة). كان ابن خالتها، تربَّيا معًا، وأحبَّا بعضهما منذ الصّغر، وتآلفت المقولة مع الأفئدة في صدفةٍ عجيبةٍ، أن يحبّا بعضهما في تلاقٍ مع رغبة الخالتين داخل الانصهار والذّوبان العائليّ بالقرابة والنّسب والحبّ تلقائيًّا والذي اقترب أوانه بمجرّدِ أن تنهيَ العروس دراستها الجامعيّة، ويجتمع الشّمل العائليّ والحبُّ الكبير الذي تغلغل في قلوبهما برغبةٍ جامحةٍ واختيارٍ حرٍّ دون أيِّ تعنُّتٍ أسريٍّ، فهما عاشقان داخل السّرب أو خارجه. ظهرت إشاعةٌ قويّةُ النّفاذ، سحرتِ الآذان بالطَّرْق والزَّنِّ على عقول الشّباب، أنه يوجد آثارٌ فرعونيّةٌ في قريةٍ تتبع

مركز أهناسيا المدينة (التابع لمحافظة بني سويف)، تولّى مع الشّباب الحفر، يتقدّمهم في الهمّة والحماس التي ربّما تجلب له الكنوز التي سيلقيها عند قدمي حبيبته قربانًا للمحبّة، وتتويجًا للعشق الذي سكنه منذ صباه وشبابه، وكاد الحلم الكبير أن يتحقَّقَ، وكلّما أزاح التُّراب ورفع فأس الحفر بحثًا عن الكنز المفقود ومع اقتراب موعد الفراق، واصل الحفر لعمق عشرة أمتارٍ رغم تحذير الجميع: اصعد اصعد، لكنّ فارس الأحلام، لا يشاهد إلّا لحظة الفوز القريبة في دائرة السّراب التي نسجتها أحلام اليقظة الزّائفة المضلّلة، حتى دُفن حيًّا، وهو يتلقَّف التّراب الذي ينهمر عليه ويكتم أنفاسه أمام أيَّةِ محاولةٍ للصُّراخ من أجل المساعدة والنجدة من الموت. ما زالت تعيش الصّدمة، ولم يتغيّر شيءٌ من هذا الوشاح الأسود الذي يغمرها في جسدها وقلبها وروحها كاملًا، حتى أجبرتها العائلة على قبول العريس الأخير وهو مناسبٌ اجتماعيًّا وأسريًّا من وجهة نظرهم. تمتمت تخرِّف، ودموعٌ غزيرةٌ تنداح على

وجنتيها بصمتٍ داخل شرنقة الذهول التي سلبتها من أيّة بهجةٍ حقيقيّةٍ لأيّةِ بدايةٍ جديدةٍ مهما كانت لامعةً ومغريةً، قائلةً بحسرةٍ ووجعٍ مريرٍ، وهي تهمُّ بحذف كلِّ رسائله من التليفون الذي لم يعد موجودًا في الخدمة:

- عندك حق يا حبيب عمري، أنا جزمه وواطيه، ولن أسأل إلى الأبد – الوداع يا فارس أحلامي.

فلورا الافْتِرَاضِيَّةُ

هذا الأزيز في أذنيها أخذ يتزايد بقوَّةٍ، في المرّة الأولى شعرت ببدايته في الأذن اليسرى، وتجاهلت أيَّ ظنٍّ سيءٍ بأنّه ربّما يكون هاجسًا لا معنى له، وأنّها صدفةٌ وسيرحل سريعًا كما أتى سريعًا تلك المرّة، لكن تلك المرّة الأولى تكرّرت منذ أن بدأت تتناول الحبوب المهدِّئة، وقد أخذ يتزايد، وأصبح هذا الهاجس الطّارئ حالةً مرضيةً أصابتها بالذُّعر والخوف الرَّهيب منَ المجهول، لم يستمرّ ذلك طويلًا، فبعد برهةٍ فقدت وعيها، ونقلتها الأمُّ إلى المستشفى؛ لتجلس بجانبها تتذكّر تلك الطّفلة التي تمنّت إنجابها لسنواتٍ بعد إجهاض لا إراديّ ثلاث مرّات، وأصبحت محور حياتها، وجلَّ اهتمامها، منذ أن ولدت بهيّة الطّلعة، كانت شقراءَ بعيونٍ واسعةٍ خضراءَ وجبينٍ منبسطٍ،

تكاد تشبه القطط، تشعُّ من عينيها بريقٌ نافذٌ مثل ذلك الذي ينبعث في الظّلام من القطط كنورٍ مشعٍّ، وهو الذي يصادفك، ويصيبك برعشةٍ من الخوف والتقاط الأنفاس إذا قابلتها صدفةً أثناء صعود السّلالم، أو مرورك في أحد الشّوارع المظلمة، لكنّ فلورا لا تحبُّ القطط إطلاقًا، وتقول إنّها حين تقترب من القطط، وتسمع أنفاسها المكتومة تصيبها بالضّيق والتّوتُّر الشديد. تتذكَّر بدء انخراطها مع العوالم الافتراضيّة منذ أحضرت لها الكمبيوتر وقامت بتحميل الألعاب، والانخراط في دهاليز هوس اللّعب، والتّفاعل إلى حدِّ الاندماج المفرط، والطّرق على مكتبها بعصبيّةٍ إذا خسرت في اللُّعبة، وقد خرّبت مفاتيح اللّعب والفأرة أكثر من مرّة، والنزوح عن تناول وجبات الطّعام وعدم الخروج والاهتمام بمن حولها؛ لانغماسها في مواجهة عالمها الخاصّ بين الحرب واللّين والغضب والفرح، حتى خرجت من حجرتها في إحدى المرّات مهلِّلةً، فرحةً تطلب وجبةً من دجاج (تكا) المغرمة بها مع طبقٍ كبيرٍ لأرز (بسماتيك)، وزجاجة من مشروب مياه غازية (شويبس)

برتقال أو تفّاح وكيس (بطاطس شيبس) من الحجم العائليِّ قائلةً وهي تحتضن أمّها وتقبّلها:

- ماما أنا لعبت عشر ماتشات، وكسبتهم، وباقي ٢٨ ماتش...

واستطردت وعينها الخضراء اللامعة تكاد تدمع:

- تعرفي لازم أكسب كام علشان أخذ الكاس..

وسريعًا أجابت وقد بسطت أساريرها بغتةً وتباهيًا:

- ٣٨ ماتش يا أحلى أمّ.

تقهقرتِ الأمُّ بالانحناء إلى الأمام، واضعةً وجهها داخل يديها، وكأنّها تزيح الذّكريات والأفكار السّيّئة المتربّصة بها، وانسالت دموعها غزيرةً، منهكةً تنشج وتتنهّد وتتأوّه بوجعٍ، وهزّت رأسها الغائر بين كتفيها البائستين، وتحسّرت وهي ترجو داعيةً تتمتم داخلها:

- ياربّي، إنّها ابنتي الوحيدة، لا تأخذها مني مثلما أخذت

الثلاثة السّابقين، نجّها يا إلهي من أجلي، لا أستطيع العيش دونها.. هي حياتي.

حيث أخبرها الطّبيب إنّ إدمان ابنتها للسوشيال ميديا، جعلها بعيدةً عن الواقع تمامًا، وعندما توجّب الأمر عند دخولها إلى الجامعة التّفاعل والتّحدُّث، لا تعرف كيف تتعامل مع أصدقائها وصديقاتها يسخرون ويتضاحكون عليها، ولجأت إلى المهدِّئات، فسّره الطّبيب بسبب انغلاقها داخل عالم الألعاب منذ صغرها وتلك العوالم الافتراضيّة، والتي حرمتها من الحراك الاجتماعيّ والتّداخل الفعليّ داخل واقع البشر الحيّ والنّابض بالخير والشّرِّ، لأنّها محبوسةٌ داخل فلورا الافتراضيّة ذات العيون الخضراء والسِّحنة الغربية التي تشبه القطط، وتلفت الأنظار إليها، وتهوى وتدمن شراء مناديل فلورا النّاعمة الملمس والسميكة؛ للتجفيف، خاصّةً المبلّلة المعطّرة برائحة البنفسج الذي تعشق رائحته كغسولٍ للاستحمام، وكبرفان للتعطُّر أو رائحة الخوخ الذي أيضا تعشق مذاقه.

فَاكِهَةٌ بَشَرِيَّةٌ

كانت منجة وموزة من عائلة بطّيخ من قرية (كفر شكر)، ولكنهما كانتا منتدبتين من مديريّة الشّباب والرّياضة إلى إدارة معهدٍ أزهريٍّ في مدينة بنها عاصمة القليوبية؛ لقربه من مكان سكنهما، وحياتهما الموزَّعة بين حجرتين وصالةٍ صغيرةٍ بمطبخٍ ودورة مياهٍ مرعبةِ التّكوين منَ الشُّقوق ودهان الجير الباهت الذي يتساقط من السّقف، علاوة على ماسورة المياه المتسرِّبة على الدوام، بجانب مخرج مقعدة الحمّام (الإفرنجي). خرجت موزة على المعاش، وهي تعاني من الإمساك الشّديد، لدرجة أنّ الفضلات تتحجّر في منفذ الرّاحة، وتحتاج إلى حقنةٍ شرجيّةٍ، وعمليّةٍ جراحيةٍ في المسالك البوليّة، تزوّجت وطُلِّقت، ولم تنجب، بينما منجة تزوّجت وطُلّقت وأنجبت أربعة أطفالٍ، الابن الوحيد شابٌ

معاقٌ عمره ثمانية عشر عامًا، ويسير بكرسيٍّ متحرّكٍ، رغم أنّ بقيّة بناتها في صحّةٍ تامّة، أكبرهنّ تزوّجت والأخريان في المرحلة الأخيرة من إتمام دراستهنّ الجامعيّة. منجة شخصيّةٌ نكديّة، لأقلِّ إساءةٍ لها تدمع، وتزفر الدّموع في عينيها، حتى وهي تبتهج وتفرح وتضحك، أو حتى في الحديث العابر دون مبرّر، أو ربّما يوحي داخلها بتذكّرِ ذكرياتٍ حزينةٍ أو سعيدةٍ تستجلب دموعها سريعًا وبشكلٍ غريبٍ لمن ينصت لها، فيتعجَّب لأمرها بالفعل؛ حتى أطلقوا عليها منجة أم دمعة، كانت تطمح بخيالٍ مفرط أن تعمل في المجلس القوميّ للمرأة، وتتشدّق وتتحدّث كما تشاهدهنّ في التّليفزيون وهنّ يصخبن، ويعبّرن عن حقوقهنّ ويتألّقنّ بالملابس والماكياج بين الجلسة والوقفة والابتسامات، والجميع يلتقطون لهنّ الصّور، ويجرون معهنّ الحوارات الصّحفيّة والتّليفزيونيّة، خاصّةً المتميّزات والنّاشطات منهنّ، وتتمنّى لو تتخصّص بالدّفاع عن اقتناص حقوق المعاقين مثل ابنها المكلومة من أجله، ولكلّ ما يشبه حالته بشكلٍ أو بآخر، وفجأةً تتحوّل الدّمعات الخجولة إلى دموعٍ

منهمرةٍ، وهي تتحسّر على حظِّها الأسود من زواجها السّابق لهذا المحامي المعتوه، الذي كان يشتري كتبًا عن أخطار السِّحر ومميّزاته، ويحلم أحلامًا غريبةً بالعفاريت، ويدهن جسده بالزيوت المختلفة، ويشاهد بعينيه المخبولتين على حوائط المنزل علامات الأعمال السّحريّة، فيتّهمها بأنّها تعمل له عملًا، ويضربها بالمنفضة التي انكسرت عدّة مرّات، فقرّرت ألّا تحضر منفضةً إطلاقًا، وليحترق تنظيف المراتب والمفروشات كلّ نهاية أسبوعٍ في إجازتها من العمل الوظيفيّ. فجأةً تنتحب وتولول على سوء حظِّها من عضوٍ في المجلس القوميّ للمرأة إلى منجة أمّ دمعة، ثم تنادي عليها موزة، التي تقهرها أفعال أختها المجنونة ـ من وجهة نظرها ـ وتُشعرها أنّها امرأةٌ كارثيّةٌ؛ لأنّها تعيش مع تلك المرأة عكرة المزاج على الدّوام، وهي عالقةٌ في جوال فقر الواقع، وسقف الأحلام الخياليّ الذي يجعلها تعاني نفسيًّا، وتغرق في الأسى والحزن من أجلها، فتداعبها بقولها:

- يا منجه ألم تستوِ بعد؟!

فتردّ وهي ترسم إيماءاتها الحمقاء على شفتيها المبلّلتين من الدّموع، وهي تتنهّد:

- آآآه، أصلي لسه على الشجرة يا موزه مستويه وطعمه.

أقوى مِنَ الزَّمَان

كانت دنيا تحبُّ اللّون الأصفر جدًّا، وهى صغيرةٌ كانت أغلب الفساتين ذات اللّون الأصفر أو يشترك معه في ألوانٍ أخرى، حتى أطواق رأسها والتِّوَك، ويستقطب حولها الهاموش، وتزعق وتتضايق، فتهشُّه، حتى تتعب وتملَّ، فتتركه، ويصخب بها أطفال الحارة، وهم يضحكون على دنيا هاموش، ويلتفُّون هائجين مصرِّين على هشِّ الهاموش المتطفِّل والتّابع لسحر جمال ولون فساتين دنيا الذي يشجُّ سمار جسدها الممشوق بوهج اللّون الأصفر الزّاهي والصارخ، ويفرض حالته اللّونية طوال العام على حياتها، فهو ملك الألوان داخل روح وجسد دنيا بالذّات، حتى تعاهد الهاموش الحبوب على اصطحابها فور خروجه من مأزق البرد إلى الرّبيع والصّيف، وكأنّه ينتظرها انتظار

المحبِّ والعائد إلى وطنه من رحلة غيابٍ مؤقّتةٍ. ظلّ لونها المفضّل لعامها الخامس والثلاثين، حتى منعتها أمّها إجلال الفلّاحة من مركز (سيدي سالم) في كفر الشّيخ، من ارتدائه؛ معلّلةً أنّه أصبح لا يناسب عمرها.

كانت إجلال تحكي لأمّها عن مدى احتقارها لزوجها، وعدم رغبتها في معاشرته، وأنّها تسير إلى الفراش كالبهائم التي تساق للمذبح متضررةً ومجبرةً، أخبرتها أمّها أنّ هذا حقٌّ وواجبٌ، وأن السّماء والملائكة سوف تلعنها، وما عليها غير الصمت والتّحمّل والعفّة. لم تقتنعْ، لكنّها أطاعت أمّها فيما هو فوق احتمالها. شعورٌ خانقٌ يجعلها تنفر وتشمئزُّ من هذا الجسد الجالب لها كلّ هذه التّعاسة والشّقاء. وجدت أنّ إنجاب طفلين هو طريقٌ مختصرٌ للخلاص منه، بالتّواطؤ مع متاعب الحمل. منحتها رحلة الأمومة باعثًا تكافح فيه من أجل هذين الطّفلين، فأحسّت بالحياة والقدرة على مواجهة التّحديّات التي تواجهها من أجل ابنةٍ تقترب من العنوسة، وابنٍ في عمر الثلاثين،

ويعمل في مدينة (الغردقة)، ومتزوِّجٌ من امرأةٍ تكبره بإثني عشر عامًا دون علمها، كانت زوجة ابنها روسيّة الجنسيّة من شرق أوروبا، ربّما كانت أوكرانية، وأنجب منها تؤامًا -ولدًا وبنتًا- وكانت تريد أن تعود إلى موطنها الأصليّ، لكنّ إجلال رفضت وأصرّت على بقائهما في مصر، بل وأخذ الطّفلين منها للعيش معها في كفر الشيخ، وبين الشّدِّ والجذب تقاسما الطّفلان، الأم تأخذ الولد وتعيش مع زوجها في مقرِّ عمله، وإجلال تأخذ البنت لتربّيها في كنفها ورعايتها مع خالتها العانس. تدور الأيّام ويشتدُّ الخلاف بينها وبين زوجها بسبب المنزل، وهي تطلب حقّها بالشّراكة بينهما. بعد خصامٍ طويلٍ وتعارُكٍ، ووساطة الأقارب والمعارف تنال حقّها، وما كان منه إلّا أن تزوّج وأحضر غريمتها في النّصف الذى نقل ملكيّته لابنه الجديد من زوجته الثّانية، وتتوه دنيا بين صراعات أمّها وأبيها وأخيها وزوجة أبيها التي تخشى على طفلها من إجلال وابنتها المتخلّف عقلها بعد أن فاتها قطار الزّواج، وقد رأت دنيا جالسةً بجانبه وهو في عربة الأطفال يغوص في نومٍ ملائكيٍّ

بريءٍ في الجنينة الخلفيّة للمنزل، كانت تشبه حديقةً صغيرةً بها زروعٌ من الياسمين والفلِّ البلديِّ، وعندما حضرت زوجة أبيها، أخبرتها دنيا بخوفٍ أن ابنها سَيُختطف، وأنّه يوجد شخصٌ يحوم حول المنزل، وقد جاء بقربه يسأل عن أبيه، ولمن هذا الطّفل المولود حديثًا؟! واشتعلتِ النّيران بين الضّرائر، واتّهمت دنيا بأنّها مجنونة، وبيت وقف، وتريد أن تخطف ابنها، فما كان من إجلال إلّا أن جذبتها من شعرها، وأسقطتها أرضًا وبركت عليها تصفعها على وجهها صفعاتٍ متواليةً، ودنيا تجذبها وتجرُّها من تلابيب أكمام جلبابها، حتى سقطت، وصرخ الطّفل شديدًا، وحضر الزّوج وتمّ التّصالح والعيش، كلُّ أسرةٍ في شقتها، دون كلامٍ أو حديثٍ أو حتى سلام، كالأغراب المضطّرين للعيش في منزلٍ واحدٍ من أجل العيش لا غير.

بعد الفراق تعود دنيا للذّكريات بأحلامٍ جديدةٍ، تعاند بها هوس الفقد، وشعور الشّبق الذى يوجع قلبها المفطور، وهى تتخيّل أنّها تحقّق أمنيةً ثمينةً وغاليةً، تراود خواطرها

بشغفٍ أن تسافر على سفينةٍ كبيرةٍ في رحلةٍ طويلةٍ، ولتكن من محيطٍ إلى محيطٍ تمخر عباب المياه المتدفّقة في انهمارٍ لا ينتهي بلا حدودٍ، بلا مسمياتٍ، تحت قبّة الشّمس والسّماء، هذا الوجود الأوّل الذي شيّده الإله العظيم في بدء الكون؛ لتنغلق وتنفتح في وجه الأفق الواسع بامتداد البصر دون عناءٍ، دون إحجامٍ، دون عيبٍ، ولا يجوز كما فرضته عليها إجلال الفلّاحة أنّها كبرت وما عاد يليق بها ارتداء اللّون الأصفر، حتى تنقذها سفينة الأحلام كما تراها في أحلامها، أو كما تشاهدها في الأفلام السّينمائيّة، وهي تتبختر وسط قمم الجبال والدُّروب والمسارب تتدفَّق وسط المياه الجارية، وهي تتفجَّر بقوَّةٍ، لتعصف بكلِّ معارضي الحياة الدّافئة داخل العيش في فتنة اللّون الأصفر، ثم تستقبل سفينتها الخياليّة، وقد ارتدت فستانًا أصفرَ طويلًا بدون أكمام، مفتوحًا على شكل حرف (V)، فيظهر من خلال فتحته المطرَّزة بالدانتيل اللّامع، بداية الصّدر وهي تستقرُّ على نهديها السّاخنيين، وقد هزّتها ذكرى تفاصيل تلك

العلاقة الشّاحبة، عندما أحبّت في الجامعة شابًا طوال ثلاث سنوات، ثم تركها وتزوّج بأخرى، وبعد الحنين واللّقاء مرّةً أخرى تقول له:

- لا تشغل بالك.

فيهمس بنظرةٍ قويّةٍ في عينيها، لينفرط الضّعف، ومرارة الخذلان والتّخلّي القابعة في قلبها. كخنجرٍ مسمومٍ لا يجفُّ نزفه مهما مرّتِ السّنوات، وأهدر عمرها كلَّه. قائلاً بحبٍّ:

- لا زلت أشتاق لك.
- أنا أيضًا، لكنّك تركتني وتزوّجت.
- لكنّي لا زلت أشتاق إليك.
- لكنّي لن أسامحك على الهجر والخيانة.
- لكنّي أحبّك فعلًا.
- من فضلك، لا تشغل بالك بي وارحل إلى الأبد، إذا كنت لا زلت تحبّني.

بينما هي جالسةٌ على السّفينة البيضاء وسط نسمات

الهواء الهفهافة، والمياه الرّائقة، تحرسها السّماء الزّرقاء، والشّمس العفيّة تطلق أشعّتها الذّهبيّة وهي تدندن بأغنية تحبّها كثيرًا للفنّانة شادية (أقوى من الزمان، لما كنا صغيرين)[1]. وتنتظر صديقها الهاموش الحبوب أن يعودَ لأحضان لونه الأصفر المفضّل، ليضوى ويبرق باحتفاءٍ أمام سطوع الشّمس المتأجّج؛ ليتلّون من اللّون الأصفر إلى اللّون الذّهبيّ الملوكيّ.

(1) **تنويه** : أغنية (أقوى من الزمان)، للفنّانة الكبيرة شادية: (رجعت تاني للمكان/ فكّرني بكلّ حاجة/ وبأحلى سنين هوايا/ رحت تاني للمكان/ لقيت اتنين عايشين نفس الحكاية/ يتغيّر الزمان، يتبدل المكان / لكن يامصر إنتي ياحبيبتي ذي ما إنت/ جميلة ذي ما إنتي/ أصيلة ذي ما إنتي/ أرجعلك إنتي تاني يا صاحبة المكان/ يا أقوى من الزمان).

الثُّلاثاءُ الحَزِينُ

في يوم عيد الأم الذي صادف حضوره يوم الثلاثاء، اليوم الوحيد الذى لا تستطيع فيه هي أو أخوها أن يحضرا إليها لرعايتها بسبب؛ كسرٍ مضاعفٍ أصاب وركيها وتيبُّس العمود الفقري، ورغم إجراء العمليّة وجلسات العلاج الطّبيعيّ، لكنّ حالتها لم تتحسّنْ، ورقدت على الفراش نهائيًّا، حتى لا تستطيع الذهاب إلى تفريغ حاجتها، وقد زادتها السّمنة علّة، زاد من سوء حالتها المزاجيّة وتتعصّب لأتفه الأسباب، حتى تنهارَ في نوباتٍ هستيريّةٍ وهي ترجو الموت والرّاحة منَ العجز والكساح، والبامبرز الذى يسلخ تجاويف أفخاذها في ليالي الصّيف الحارّة، وفي الشّتاء يزيدها بالبرودة في انتظار تبديله، ورائحة البول والبراز تزكم روحها بالاشمئزاز وكره العالم أجمع، حتى تستسلم لهذا الوحل بدموعٍ صامتةٍ مدرارةٍ، وتسرع الابنة في طهارتها

وتنظيفها حتى تصلّيَ وتقرأ في كتاب الله، وهي تستغفر الله وتستعيذ من الشيّطان الرّجيم، ويأتي الثّلاثاء الحزين فتتنهّد قائلةً بزفرة امتعاض:

- بكره الثلاثاء الحزين يا حبيبتي. لا إنتي ولا فهمي ها تقدروا تباتوا معايا.

فتردَّ الابنة بحزن:

- نعم، معلش ياماما.

ثم تستطرد وهي تفتعل ابتسامةً لتقول:

- ما هو إنتي السبب يا أمي، لو كنتِي خلفتِي ثلاثة أو أربعة كانوا أخذوا هذا اليوم يا أمي.
- لأ أبدًا يا بنتي البركه والخير في القليل، ممكن كنت خلفت ثلاثة أو أربعة ووجعوا قلبي، وتخلوا عني.

فجأةً تنتقل الأمُّ للهزار والتفكُّه وتسألها بخبثٍ: هل أحضرت لها علبة (الحلاوة الطحينية بالمكسرات) كما

أمرتها؟ فتتصعّب الابنة وتهزُّ رأسها:

- ها.. ها.. أمي تمزحين، هي محظورة عليك يا أمي.

وتسترسل:

- ثم إنّي أكرهها.
- ألا تتذكّرين.. اااهٍ يا أمّي..، بل أنا أكرهها جدًّا؛ لأنّك كنت تضعين لي الدّواء في ساندوتش الحلاوة بعد تفتيته حتى أبلع الدواء، وأسناني مخرّبة بها وبغيرها، وعملت عمليّة في الفكّ السّفليّ.

تتلاهى الأمُّ عن ذكريات ابنتها القاتمة السّواد مع (الحلاوة الطحينية)، وتسترخي برأسها داخل الوسادة وتتحسّر:

- إيه.. إيه يا بنتي ألا زلت تتذكّرين؟

وتملأ فراغات الاشتهاء والرّغبة الملحّة لها في تلذُّذِ الحلاوة، وتقصّ حكايتها المأثورة بالمثل الشّعبيّ: (كلي

يا عين، كلّ شيءٍ تشتهيه، بكرة يجيلك يوم الشهد لن تذوقيه). مثل لحماتي الله يرحمها كانت مغرمة بتناول ساندوتش (الفينو) بالحلاوة الطحينية، مع كوب الشّاي باللّبن السّاخن.. هه.. هه.. الله يرحمها ويرحمنا جميعًا.

بغتةً، وبعد انتهاء الحديث تزداد أخاديد وكرمشات وجهها مع ابتسامةٍ واسعةٍ، وقد أخرجت من درج الكمودينو خلسةً علبةَ حلاوةٍ صغيرةٍ بملعقةٍ بلاستيكيّةٍ، بينما ابنتها ذهبت إلى الجزء الآخر من الشّقّة لعمل شيءٍ ما، حتى تحضرَ وتفاجئَ بأمَها وقد وضعتها على حجرها، فتصرخ:

- ماما.. ماما.. حلاوه.. يا ماما.. كيف وصلت لك؟!

فتعاجلها بنظرة استعطاف:

- وحياتي يا حبيبتي. بكرة الثلاثاء الحزين ولن يبيت معي أحد منكما. اصنعي لي كوب شاي باللّبن، أرجوكِ يا حبيبة قلبي.

العُلْبَةُ الفِضِّيَّةُ

ذهبت الأمُّ المقهورة مع أخيها إلى المطار، وهي ترتدي ثياب الحداد الأسود من قمّةِ رأسها إلى أخمص قدميها، بعينين متورِّمتين ذابلتين من الحزن والوجع على وفاة زوجها الذي كان يعمل في إحدى دول الخليج، وقد حملت شهادة الوفاة (التهاب رئوي) جرّاء فيروس كورونا، ونتيجةً لأنّ المرض معدٍ، يصبح شبه مستحيلٍ عودة الجثث إلى أوطانها؛ يتمُّ دفنهم في أرض الغربة أو حرقهم، كما يحدث لبعض الجنسيّات الأخرى مثل الهنود، وغيرهم من الطّوائف الأخرى القريبة منهم في طقوسِ وعاداتِ الدفن، فلم يكن ذهابها إلى المطار إلا لتتسلّمَ ابنها الأكبر الذي كان يقيم ويعمل مع والده في إحدى الشركات

الاستثماريّة، دون بقيّة الأسرة التي استقرّت للعيش في القاهرة، وأصابه الفيروس، لكنّه شُفي منه بعد العزل الصحيّ، والفحوصات الطبيّة. ظلّت لسنواتٍ طويلةٍ تستقبل الأب والابن في الإجازات الصّيفيّة، وتنتظر وتتمنّى العودة الدّائمة والاستقرار الأسريّ. انهمرت دموع الأم وهي تحتضن ابنها الأكبر الذي نجا من الموت. ورغم غريزة الأمومة المحمومة، آلمها للحظاتٍ شعورٌ ثقيلٌ بأنّه كان حاملًا للفيروس التّاجي وربما لازال، وحاجز عدائيّ وشبح الموت الذي أزهق روح زوجها في صدمةٍ مباغتةٍ، لا زال عالقًا مع حياة طفلين آخرين لا يزالان على قيد الحياة، وتخشى عليهما من وجود ابنها الأكبر، والذي تسلّل قابعًا في صدره وخلاياه، حتى انتصر عليه بقوّةِ مناعته وإرادته، بعد أن أوصاه والده بأنّه أصبح ربَّ الأسرة، وقائدها الآن. أغمضت عينيها واتّكأت برأسها على مسند السّيَّارة الخلفيّ وتمتمت بصوتٍ مسموعٍ: «استغفر الله العظيم.. استغفر الله العظيم». ربت الابن الجالس بجوارها على كتفها مستغربًا قائلًا:

- ماذا بك يا أمي؟

وقبل أن تقولَ شيئًا اجهشت في البكاء واحتضنته وهمست تبتلع دموعها:

- لا شيءَ يا حبيبي.

زعق أخوها:

- وحِّدي الله يا نهله.. كفايه اللي حصل للولد.

بجانبه السّائق الصّامت يرتدي الكمامة والقفّاز الطّبيّ، صمته جلَّلَ مهابةَ الموت، وليس أيَّ موت، إنّه موتٌ من وباءٍ لا زال غامضًا في نظره، فكيف لفيروس لا يُرى بالعين المجرّدة يحدث كلَّ هذه الضّجة؟!

أشارت بهزّةٍ من رأسها وقالت بابتسامةٍ خفيفةٍ، وأحاطت ابنها بذراعيها وقبّلت رأسه وقالت:

- قل لي يا حبيبي كيف مات أبوك؟

قال بحزنٍ عميقٍ:

- بل سأحكي لك يا أمي كيف مات عمّ أوشا صديق أبي،

حتى تصبري وتتحمّلي فجيعة موت أبي. في نفس اليوم الذي نقلت فيه عربة الإسعاف جثّة أبي، الملفوفة بغطاءٍ أبيضَ من أجل الدّفن، كان يرقد بجواره جثّةِ صديقه العزيز الذي امتدّت علاقته به لأكثر من عشرين منذ أن حضر إلى دولة (الإمارات) من الهند، وكان يحلم بالعودة إلى وطنه، ليبنيَ منزلًا كبيرًا من عدَّة طوابقَ يجمع فيه أبناءه السّبعة المتزوّج منهم أو غير المتزوّج وهو يقطن الطّابق الأوّل مع زوجته، يرعى الحديقة التي ستعادل نصف مساحة المنزل كما تصوّرها. يزرع أزهار الأقحوان والليلك وزهرة النّجمة، والقرنفل وعصفور الجنّة ودوّار الشّمس والنّرجس البرِّيِّ، وأخيرًا تظلّلها زهرات الماغنوليا زهرة الزّينة الأولى في العالم. هكذا تصوّر حديقة الأحلام في وطنه، هذا الرّجل الذي كان ينضح جسده بالعافية والقوّة والخيالِ والجموحِ لسنوات، وهو يشقى ويشقى لكي يعود إلى الوطن، وسنوات الغربة تشعل حماسه في سباقٍ محمومٍ بين تجميع المال، وتحقيق حلمه، هذا الجسد الهائل،

وهذا العقل الوقّاد. (ظلّت جثّته داخل سيّارة الإسعاف مقابل غرفة حرق الجثث، تنتظر صديقًا أو زميلًا تودِّعه بنظرات الأسى والفقد مع باقة الورود. كما كان يحدث في الماضي ويأتي أحبَّاؤه ومعارفه وأصدقاؤه ليودِّعوا موتاهم بالبكاء والورود، ولأنّ لا أحدَ يحضر حتى في وداع الموتى في زمن الوباء. لم يستغرق التعلُّق للانتظار طويلًا أمام رجالٍ ارتدوا ملابس الحماية من الفيروس، والذين مهمّتهم حمل الجثّة إلى غرفة المحرقة، حيث تتحوَّل في غضون ساعتين ونصف السّاعة إلى رماد في علبةٍ فضيّةٍ)[1]، التي هي أيضًا لا تنتظر أحدًا ليأخذها.

(1) **تنويه** : قصّةُ الرّجل الهنديِّ قصّةٌ حقيقيّةٌ مع قدرٍ كبيرٍ من التخيُّل لضروراتٍ إبداعيّةٍ، المصدر: في موقع إلكتروني: (الخليج.. مقيمون يموتون بكورونا دون نظرة وداع..). تاريخ النشر/ GMT ١١: ١٥ / ٢٠٢٠,٠٤,٢٢. أخبار العالم العربي.).

عاصفةُ التِّنِّين

الظَّلام يوحي لنا بالكثير، وتلك الدَّوائر والأشكال الغرائبيّة تتشكَّل أمام عينيَّ البارقتين بالنّظر، لأقتحم مسار الرُّؤية رغم هذا الظّلام الكثيف. كان حبيب الظّلام يأتي دومًا في تلك اللّيالي الغائبة منه الآن، حينما كان يقترب موعد نومي، وأقبع في الظّلام الدّامس لاستجداء النّوم، كان وكانت تلك اللّيالي الطّويلة لسنوات طوال حتى حلّ الفراق اللّعين. لغة الأحياء والموتى في مسار تلك الحياة المبهمة، وأصبحت حياتي مظلمةً في الصّباح والمساء، كلٌّ على حاله سواء بعد رحيله المفاجئ كظهوره المفاجئ أيضًا، وبتُّ في ظلامي أفرفر كالدّجاجة المذبوحة بأنين الخلاص، بدون حديثه الشّجي، ودفء الحب والشّوق

والاشتياق والحنين، وكلّ هراءات الحبِّ المعهودة لنا نحن البشر المساكين دون حبّ، دون رجاء، دون ونيس، غير أن نحتضنَ وسادة الوحدة المظلمة. ظللت ليومين وأنا أقبع في الظّلام الفعليِّ دون إرادتي كما أفعل، بسبب انقطاع الكهرباء والماء، فقد حلَّت عاصفةٌ أُطلق عليها (عاصفة التّنّين) الهوجاء، بأمطارٍ غزيرةٍ وبرقٍ ورعدٍ عطّلت كلّ شيءٍ، حتى أغرقتِ البلاد في حلكة الظّلام المرعب. التقطت تليفوني لأقهرَ هذا الظّلام الإجباري الجاسم على أنفاسي دون مشيئتي. تصفّحت في مدونة (كورونا مصر)، هذا الضّيف الجديد المسمّى (جائحة الكورونا المستجدة - كوفيد ١٩)، لأتابع كلَّ ما يستجدُّ من نصائحَ وتعليماتٍ تأتي من منظّمة الصّحة العالميّة، وكان اليوم عن خطوات غسل اليدين بالماء والصّابون للحماية من تسلّق الفيروس إلى الوجه عن طريق الفم والأنف والعينين، بوقتٍ لا يقلُّ عن ٢٠ إلى ٣٠ ثانية، مع مقترحٍ غنائيٍّ عند الغسل بغناء جملة: (هابي بِرث دي تو يو) مرّتين أو ثلاث، حتى ينتهي الأمر صحيحًا. في اليوم الثّالث توقّفتِ الأمطار واضطّرت

للخروج مساءً؛ لتجديد باقة التّليفون، وعدت سريعًا طبقًا لقانون التّباعد الاجتماعيّ، وذهبت إلى الحمّام مباشرة، وغسلت يديَّ وأنا أردِّد:(هابي بِرث دي تو يو)، وكنت تقريبًا منهارةً وخائفةً من لمس أيّ شيءٍ، وبدأت عمليّة التّطهير لكلِّ شيء، ثم جلست محبطةً دون أن أحاول لمس شيء، خاصّةً وجهي، فربّما ينتقل الفيروس سهوًا، وتمدّدتُ باسترخاءٍ على أريكتي المفضّلة أُجرّب تفعيل الإنترنت في تليفوني حتى أهدأ، لمحت على الفيس خبر وفاة المطرب الأمريكي (كيني روجرز)عن عمرٍ يناهز ٨١ عامًا، وبجانب صورته أغنيته الشّهيرة (ليدي)، فأنصت إليها بشغفٍ واستمتاعٍ، وفجأةً انتفضتُ من هذا الذّوبان الرُّومانسيّ، وقد تذكّرتُ أنّني لم أطهِّرْ مقبض باب الشَّقَّة بعد حضوري، فذهبت فورًا وأحضرتُ مِنشفةَ الماء بالكلور، ثم هرعتُ إلى الحمّام في استدعاءٍ مبالغٍ للوقاية أغسل يديَّ، وأنا أردِّد بيأسٍ: (هابي بِرث دي تو يو).

ذاكِرةُ الجُنَيْهاتِ الخَمْسَةِ

كان يملؤني الفزع في ذاك اليوم الأوّل من منتصف مارس تقريبًا عام ٢٠٢٠م، بعد فرض العزلة الإجباريّة من العمل الوظيفيّ، وقد بدأت إجازةٌ متقطِّعةٌ من الذّهاب إلى العمل بالتّناوب؛ بسبب انتشار (فيروس كوفيد ١٩- أو كما يطلق عليها جائحة كورونا المستجدّة)، جلست بهوسٍ أعدُّ وأحصي عدد من قابلتهم في اليوم السّابق، وربّما كان يحمل الفيروس، وسبّب لي العدوى دون أن أشعر، واستعنتُ بكلِّ المعلومات المتاحة على شبكة الإنترنت من خلال متابعتي اليوميّة لأغلب ما يُنشر عنه، هو يشبه مرض الأنفلونزا إلى حدٍّ كبيرٍ، لكنّ هناك فارقًا بالغ الأثر، فهو لديه مستقبلاتٌ تاجيّةٌ بحيلة خبيثةٍ، لذلك تُسمّى كورونا؛ لأنّها تشبه التّاج، تجعله يتحايل على الخلايا حتى يتسلّقَ إلى هدفه الأساسيِّ وهو الرئتين، ليعيش داخل الخليّة

يتكاثر ويتكاثر، حتى تنفجر الخليّة، وهكذا دواليك حتى يصبح كائنًا حيًّا، فهو مجرّد مادّة وراثيّة من (RNE) تحاول أن تصبح كائنًا حيًّا، باستحوازها على الخليّة، لتعيش وتنمو وتتكاثر بالمليارات، وأعراضه حمّى شديدةٌ، وضيق تنفُّسٍ وسعالٍ وصداعٍ و....، وتتفاقم هذه الأعراض من بدئها تقريبًا في اليوم الخامس إلى اليوم الرّابع عشر، حتى تصبح الحالة حرجةً، وربّما تؤدِّي للوفاة مباشرةً، ضحكت على نفسي بسخريّةٍ: هل بتُّ أفهم في الطبِّ! لكنّي كنت مستمرّةً في متابعة ماراثون الفيروس الذي يصيب البشر في كلِّ أنحاء العالم، ويقتلهم بكلِّ شراسةٍ كلِّ يومٍ، وكأنّه وحشٌ كاسرٌ ضخمٌ يبتلع الجميع في أحشائه الكبرى، بينما هو في الحقيقة ليس إلّا مجرّد فيروس صغيرٍ جدًّا جدًّا لا يُرى بالعين المجرّدة، وإنّما بالميكروسكوب لا غير. فجأةً، طُرق الباب، فكان محصِّل الكهرباء وهو يكرِّر: كهربا.. كهربا. فتحتُ الباب بتكاسلٍ لم يكن أمامي فناديتُ عليه: نعم أستاذ محمد، جاء من الشّقّة الأخيرة في نفس الطّابق، لم يكن هو المحصّل السّابق، قال سريعًا: وصل

الكهربا يامدام. ارتبكتُ بشدّةٍ؛ لأنّه كان شخصًا لم أتوقعْه في تلك الظّروف التي تمرُّ كالكابوس، وأخرجتنا من قانون الحياة المعتاد بعد فرض العزل الاجتماعيّ والتّباعد بين البشر بقوّة الفيروس السّريع الانتشار والعدوى. أعطيته النقود وبقيَ لي خمسة جنيهاتٍ والوصل المدفوع، فقال : «اتفضلي». دون ردٍّ أشرتُ له بخوفٍ وتوجُّسٍ أن يضعهما على سطح الجزّامة التي بجانب الباب، فعل ذلك سريعًا، وذهب دون أيِّ تعليقٍ، وهو ينادي صاعدًا إلى الطّابق الأعلى: كهربا.. كهربا. عدتُ إلى (اللاب) الذي فصلني عن كامل الحياة اليوميّة، بمتابعة ما يحدث في العالم من جرّاء انتشار هذا الفيروس الخطير، وأكملتُ مشاهدة فيديو يصف تشريحَ أصلِهِ والشّفرةَ الجينيّة، وكيفيّة تسلُّله إلى جسد الإنسان؛ ليفتك بالرّئتين حتى الوفاة، فتذكّرتُ أنني كنت أكره تعلُّم دراسة مادتي الرِّياضيات والعلوم، ودوما كنت أبتهل داعيةً الله ألّا أرسبَ فيهما؛ حتى لا أُعاقب من أبي الذي كان عقابه لي شديد القسوة؛ بحرماني من المبيت في حضن جدّتي في غرفتها المفردة لها، وبذلك لن أنصت

إلى الحواديت والحكايات المثيرة التي كانت تدّخرها لي دون باقي الأخوة طوال جلستنا معًا، حتى أنغمر في دفء أحضانها بالمتعة والنُّعاس. كان هذا أشد عقاب وحرمان لاقيته طوال المرحلة الابتدائية والإعدادية،حتى أنقذني الله في المرحلة الثّانويّة، واخترت شعبة (القسم الأدبي)، فرحل الرُّسوب، ولكن رحلت جدّتي أيضًا إلى الأبد. طرق الباب مرّةً أخرى أثناء انهماكي في مشاهدة فيديو جنائزيٍّ غنائيٍّ عن أكفان ضحايا (الكورونا) التي تكفّلت بها سيّارات الجيش في مدينة (بيرجامو) ومدنٍ أخرى كثيرةٍ في إيطاليا، بسبب امتلاء المدافن المحليّة في إيطاليا، فوضعت راحة يديَّ على فمي من الصّدمة، وانهرت بالبكاء الحارِّ فزعًا وحزنًا، والمشاهد تتوالى أمامي بخلفيّةٍ موسيقيّةٍ مؤثّرةٍ للغاية، ثم صحيفةٍ تنقلب بصفحةٍ تلو الأخرى ممتلئةً بأسماءِ وصورِ الوفيّات، فبكيتُ بحرقةٍ وكدرٍ طاغٍ، حتى أغلقتُ (اللّاب) بعنفٍ، كانت وتيرة الطّرق عاليةً، فنهضتُ مسرعةً أقول بحدّةٍ: من.. من؟! فقالت بحدّةٍ أيضًا: أنا.. أنا أم مصطفى يا أبله، افتحي لا تخافي. فتحت الباب متأسّفةً

على التّأخير: أيوه أيوه.. أنا أسفه يا أم مصطفى، وقالت بعجلةٍ: «مالك سلامتك. اتفضلي الخضار و(المحشي الملفوف)..معلش اتأخرت عن الشغل» وضعتهما على سطح الجزّامة سريعًا، وكأنّها تعلم ما سوف أطلبه منها مثل ما فعل محصّل الكهرباء، أغلقتُ الباب وأنا أتمتم: شكرًا يا أم مصطفى.. أنا أسفه فعلًا. جلستُ أهدأ ومسحتُ بقايا دموعٍ، ثم جاء ابني من غرفته: «مالك يا ماما؟ ومن كان؟! وما هذا الكيس؟» قلت بافتعال الهدوء وبابتهاجٍ بسيطٍ: «كانت أم مصطفى، وهذا المحشي طلبته من أجلك ياحبيبي» ودون مبالاةٍ بحالتي فرح قائلًا بحماسٍ كبيرٍ: «بجد» وأخذ الكيس إلى المطبخ، ذهبت خلفه، وقلت بابتئاسٍ: «ألا تنتظر حتى نعقم الكيس وتغسل يديك ربما به الفيروس وتنتقل العدوى إليك». ضحك وقال بمرح: «بعد تناول الطعام يا ماما أغسل يدي. لا تقلقي أنا جوعان جدًّا، وأحبُّ أكل أمّ مصطفى جدًا» وصرخ من الرائحة الذكية، وانهمك في غرف طبقٍ كبيرٍ له. ذهبت إلى حجرتي دون ردٍّ وقلت: «عندك حق، أم مصطفى عشرة سنوات طويلة

وامرأة نظيفة للغاية ولا آكل ولا أطلب طهي إلّا من يدها». وأزحت بيأسٍ عن عقلي فكرة عدوى الفيروس تأتي من أم مصطفى ونادى ابني: «ماما وضعت لك طبقًا في المطبخ تعالي خذيه». ذهبت فرأيت الكيس الفارغ والفوطة التي دائما ما تلفّ بها (حلّة) الطهي، ولا أعرف سرّ هذا بالذّات معها خاصّةً إذا كان الطّهي (المحشي الملفوف)، وضعتُ الخضار في الثّلّاجة، والكيس داخله الفوطة على سطح الجزّامة، فلمحت إيصال الكهرباء بداخله الجنيهات الخمسة، نظرت لهما بشفقةٍ وبؤسٍ، كأنّهما أشباحٌ للفيروس التّاجي، حاولت أن التقطهما، لكن لم أستطع إطلاقًا.

المؤلِّفة في سطور

الكاتبة / هدى توفيق

من مواليد محافظة بني سويف (مصر) في: ١/ ٤/ ١٩٧٢م، حاصلة على كلية الآداب، جامعة القاهرة، فرع بني سويف (قسم اللغة الإنجليزية) عام ١٩٩٥م.

صدَر لها عدد من الكتب: القصصية، والروائية، والنقدية الثقافية، منها:

ـ أنَّى تصيرُ رجلاً، كهف البطء، عدوى المرح، حِذاء سيلفانا، سلامتك يا راسي، الوجه الآخر للوحدة، خيال عن وطن مغاير، الرقص على البحر، فاكهة بشرية، مختارات قصصية بعنوان (نعناعة الفِراق) .... إلخ.

وثلاث روايات هي:

(المريض العربي). ط١: ٢٠١٥م، (بيوت بيضاء). ط١: ٢٠١١م)، والتي حازت على جائزة (المركزالأول) في عام ٢٠١٢م؛ تحت اشراف الهيئة العامة لقصور الثقافة، ورواية (رقصة الحرية) ط ١ : ٢٠١٩م. ناصية القراءة (١)، قراءات ثقافية في الأدب العربي، ط١ : ٢٠٢٠م. ناصية القراءة (٢)، ط١: ٢٠٢٢م، قراءات إبداعية وفكرية، ط٢ : ٢٠٢٢م ،عن دار نشر يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع.

(الأنا، ورؤية الآخر)، ط ١: ٢٠٢٣م، عن دار نشر الشواهين للطباعة والنشر والتوزيع. مصر، الجيزة.

الفهرس

الإهداء ٣
يوْميّاتُ تَبَاريحَ أنْدَلُسيَّة ٥
اُكْتُبْ أُتوبيس ١٠
حُلْمٌ فِرْعَوْنيٌ ١٦
ها.. ها.. أنَا.. الأمَلُ ٢٧
الأصَابعُ الذّهَبيَّةُ ٣١
حَالَةٌ شَعبيّةٌ مُفْرِطَةٌ ٤٤
الجَريمَةُ الكَاملَةُ ٥٢
مَسْرَحُ مِصْرَ ٦١
فَارِسُ أَحْلامي ٦٣
فلورا الافْتِرَاضيَّةُ ٦٦
فَاكِهَةٌ بَشَريَّةٌ ٧٠
أقوى منَ الزَّمَان ٧٤
الثُّلاثاءُ الحَزينُ ٨١
العُلْبَةُ الفضِّيَّةُ ٨٥
عاصفةُ التّنّين ٩٠
ذاكرةُ الجُنَيْهاتِ الخَمْسَة ٩٣
المؤلِّفة في سطور ٩٩

الكاتبة

كانت دنيا تحبّ اللّون الأصفر جدًا، وهى صغيرةً كانت أغلب الفساتين ذات اللّون الأصفرأو يشترك معه في ألوانٍ أخرى، حتى أطواق رأسها والتّوَك، ويستقطب حولها الهاموش، وتزعق وتتضايق، فتهشّه، حتى تتعب وتملّ، فتتركه، ويصخب بها أطفال الحارة، وهم يضحكون على دنيا هاموش، ويلتفّون هائجين مصرّين على هشّ الهاموش المتطفّل والتّابع لسحر جمال ولون فساتين دنيا الذي يشجُ سمار جسدها المشوق بوهج اللّون الأصفر الزّاهي والصارخ، ويفرض حالته اللّونية طوال العام على حياتها، فهو ملك الألوان داخل روح وجسد دنيا بالذّات، حتى تعاهد الهاموش الحبوب على اصطحابها فور خروجه من مأزق البرد إلى الرّبيع والصّيف، وكأنّه ينتظرها انتظار المحبّ والعائد إلى وطنه من رحلة غيابٍ مؤقّتة. ظلّ لونها المفضّل لعامها الخامس والثلاثين، حتى منعتها أمّها إجلال الفلّاحة من مركز (سيدي سالم) في كفر الشّيخ، من ارتدائه؛ معلّلةً أنّه أصبح لا يناسب عمرها.

هدى توفيق

مصمم الغلاف

ايمن عبد البارى

الشواهين للنشر والتوزيع